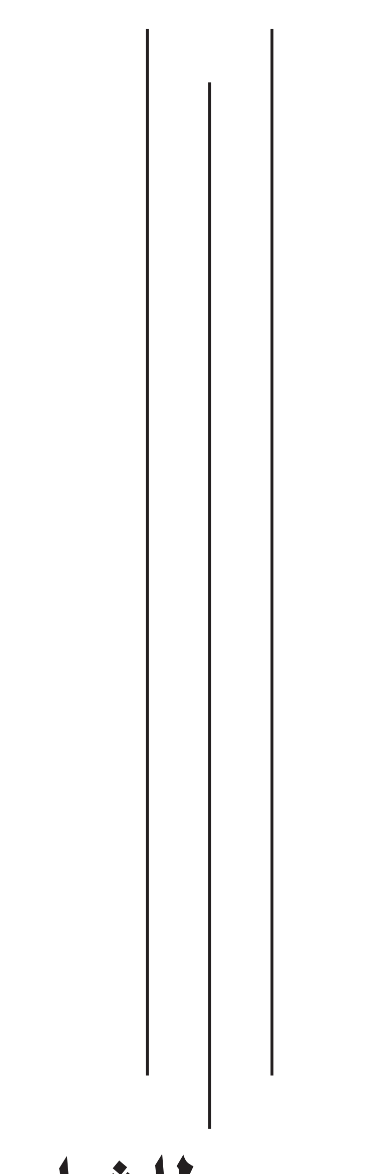

مجموعة زاد
ZAD GROUP
للنشر
طوبى للشام
محمد صالح المنجد



طوبى للشام

طوبى للشام

مُحَمَّدُ صَالِح المُنَجِّدُ



ح مجموعة زاد للنشر، ١٤٣٤هـ
فهرسة مكتبة فهد الوطنية أثناء النشر
المنجد، محمد صالح
طوبى للشام، / محمد صالح المنجد . - جدة، ١٤٣٤هـ
ص ؛ سم
ردمك: ٥ - ٣٨ - ٨٠٤٧ - ٦٠٣ - ٩٧٨
ديوي: ٩٥٣,٠٧٣ ١٤٣٤/٨٢٥
رقم الإيداع: ١٤٣٤/٨٢٥
ردمك: ٥ - ٣٨ - ٨٠٤٧ - ٦٠٣ - ٩٧٨

الطبعة الأولى
١٤٣٤هـ - ٢٠١٢م



مُقَدِّمَة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد:

فهذه نبذة مختصرة، تقصّ الحق الذي شهد به الكتاب المبين والسنة المطهرة، في بيان فضل هذه البلاد المباركة، وكرامة تلك الديار المشرَّفة، وهو فصل من فصول كتاب كبير عن الشام أرجو أن يفيد في أحداث الساعة الراهنة، التي أدمعت العين، وأدمت القلب، وأزعجت النفس.

تلك الأحداث التي جرَّت على الشام وأهله ما جرَّته من صنوف البلاء، وأعقبت ما أعقبته من الهموم والكروب بشتى أنواعها وكافة أجناسها.

وقد قال الله تعالى: ﴿**وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ**﴾ [آل عمران: ١٤٠ :١٤١].

ومن تأمل هذه النصوص الثابتة والأخبار الصادقة تعرَّف على موعود الله الذي لا يخلف وعده، وأيقن أن النصر قادم، وأن مع العسر يسرا، وأن الله معزٌّ جندَه، ومذلٌّ عدوَّه، ومتمٌّ نورَه، لا محالة.

فإلى بشرى تلك العجالة، وإلى الأمل المنشود، الذي تحمله بين طياتها كلماتُ الصادق المصدوق، ويزفّه إلينا حديثُ من لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى.

* * *

فَضَائِلُ الشَّامِ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ

يختص الله برحمته من يشاء من عباده، ويَخصُّ بفضله من يريد، ويفضِّل بعض البقاع والبلدان والأزمان على بعض، ولله الحكمة البالغة في ذلك.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لِلْبَارِئِ تَعَالَى أَنْ يَفْعَلَ مَا يَشَاءُ، وَيَخُصُّ بِالْفَضِيلَةِ مَا يَشَاءُ، لَيْسَ لِعَمَلِهِ عِلَّةٌ، وَلا عَلَيْهِ حَجْرٌ، بَلْ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ بِحِكْمَتِهِ، وَقَدْ تَظْهَرُ فِيهِ الْحِكْمَةُ، وَقَدْ تَخْفَى»[1].

وقد حفلت السنة النبوية بأحاديث كثيرة في فضل الشام وفضل أهلها، وفضل الهجرة إليها زمان الفتن، أفردها العلماء بالتصنيف، منهم: أبو الحسن الرَّبعي، وأبو سعد السمعاني، وأبو الفرج ابن الجوزي، وبهاء الدين ابن عساكر، وبرهان الدين البقاعي، وضياء الدين المقدسي، والعز بن عبد السلام، وابن عبد الهادي، وابن رجب الحنبلي، وغيرهم.

فـ«إقليم الشام: جليل الشأن، ديار النَّبيِّين، ومركز الصالحين، ومطلب الفضلاء، به القبلة الأولى، وموضع الحشر والمسرَى، والأرض المقدَّسة، والرباطات الفاضلة، والثُّغور الجليلة، ومهاجر إبراهيم، ومشاهد الأنبياء... وفضائل لا تخفى»[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: «ثَبَتَ لِلشَّامِ وَأَهْلِهِ مَنَاقِبُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَآثَارِ الْعُلَمَاءِ، وَهِيَ أَحَدُ مَا اعْتَمَدْته فِي تَحْضِيضِي الْمُسْلِمِينَ عَلَى غَزْوِ التَّتَارِ، وَأَمْرِي لَهُمْ بِلُزُومِ دِمَشْقَ، وَنَهْيِي لَهُمْ عَنْ الْفِرَارِ إلَى مِصْرَ، وَاسْتِدْعَائِي الْعَسْكَرَ الْمِصْرِيَّ إلَى

---

(١) «تفسير القرطبي» (٨/ ١٣٦).

(٢) «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» للمقدسي ص[١٥١]، باختصار وتصرُّف.

الشَّامِ وَتَثْبِيتِ الشَّامِيِّ فِيهِ»[١].

الشام لغة:

الشَّأْم، والشأَم: بسكون الهمزة وفتحها لغتان، وفيها لغة ثالثة وهي «الشامُ» بغير همز، واشتقاقها مأخوذ من اليد الشؤمى؛ وهي اليسرى؛ سميت به لأنها من مشأمة القبلة.

وقيل: سميت بذلك لكثرة قُراها وتداني بعضها من بعض، فشبهت بالشامات.

وقيل: سميت الشام بـ «سام بن نوح»؛ لأنه أول من نزلها، واسمه بالسريانية: شام[٢].

والشام هي الإقليم الشمالي الغربي من شبه جزيرة العرب[٣].

وحدُّ الشام؛ من الغرب: البحر المتوسط، ومن الشرق: البادية من أيلة[٤] إلى الفرات، وينتهي حد الشام شمالا بسفوح جبال طوروس، وجنوبا بعريش مصر[٥].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ٥٠٥).

(٢) «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (٣/ ١٧١).

(٣) وبلاد الشام تشمل في هذا العصر: سوريا، والأردن، ولبنان، وفلسطين.

(٤) أيلة: مدينة قديمة على البحر الأحمر، وهي على مقربة من العقبة اليوم.

(٥) ينظر: كتاب «خطط الشام (١/ ٩) لمحمد كرد علي، وكذا: «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (٣/ ١٧١).

والفضائل الثابتة للشام كثيرة متنوّعة، فمن ذلك:

١ – أن الشام من البلاد التي بارك الله فيها، «وَقَدْ دَلَّ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ عَلَى بَرَكَةِ الشَّامِ فِي خَمْسِ آيَاتٍ»[١].

الأولى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء:١].

قال الإمام الطبري: «أي: الذي جعلنا حوله البركة لسكانه في معايشهم، وأقواتهم، وحروثهم، وغروسهم»[٢].

فقد بارك الله في أرضها: بالمياه والأشجار والثمار والخصب، وفي أرزاقها: بالكثرة والطيب، وفي رجالها: بالعلم والنبوة، وفي طباعهم: بالاستقامة، وفي عزائمهم: بالنجدة والشجاعة والمكارم، وفي جميع أحوالهم[٣].

الثانية: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:٧١].

قال الطبري: «هي أرض الشام، فارق –صلوات الله عليه– قومه ودينهم وهاجر إلى الشام».

وقال: «لا خلاف بين جميع أهل العلم أن هجرة إبراهيم من العراق كانت إلى الشام، وبها كان مقامه أيام حياته، وإن كان قد قدم مكة وبنى بها البيت، وأسكنها إسماعيل ابنه مع أُمه هاجر، غير أنه لم يُقم بها، ولم يتخذها وطنًا لنفسه، ولا لوط»[٤].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ٤٤)

(٢) «جامع البيان» (٦/ ٥٠٩٣).

(٣) «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» للبقاعي (٣/ ٩٢).

(٤) «جامع البيان» (٧/ ٥٧١٦).

الثالثة: ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء:٨١].

فإنَّ المراد بتلك الأرض: الشَّام، «وَإِنَّمَا كَانَتْ تَجْرِي إِلَى أَرْضِ الشَّامِ الَّتِي فِيهَا مَمْلَكَةُ سُلَيْمَانَ»[١].

الرابعة: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا ﴾ [الأعراف:١٣٧].

«ومعلوم أن بني إسرائيل إنما أورثوا مشارق أرض الشام ومغاربها، بعد أن أُغرق فرعون في اليم»[٢].

الخامسة: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً ﴾ [سبأ:١٨].

فالقرى التي بارك الله فيها هي: قُرَى الشَّامِ.

قال ابن كثير: «قال مجاهد، والحسن، وسعيد بن جبير، وقتادة، والضحاك، وابن زيد وغيرهم: يعني قرى الشام.

يعنون: أنهم كانوا يسيرون من اليمن إلى الشام في قرى ظاهرة متواصلة»[٣].

قال شيخ الإسلام بعد ذكره هذه الآيات الخمس: «فَهَذِهِ خَمْسُ نُصُوصٍ حَيْثُ ذَكَرَ

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ٥٠٦).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ٥٠٦)

(٣) «تفسير القرآن العظيم» (١١/ ١٧٦).

اللَّهُ أَرْضَ الشَّامِ فِي هِجْرَةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَيْهَا، وَمَسْرَى الرَّسُولِ إِلَيْهَا، وَانْتِقَالِ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَيْهَا، وَمَمْلَكَةِ سُلَيْمَانَ بِهَا، وَمَسِيرِ سَبَأٍ إِلَيْهَا، وَصَفَهَا بِأَنَّهَا الأَرْضُ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا.

وَأَيْضًا فَفِيهَا: الطُّورُ الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ مُوسَى، وَالَّذِي أَقْسَمَ اللَّهُ بِهِ فِي (سُورَةِ الطُّورِ)، وَفِي ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ﴾ [التين:١-٢].

وَفِيهَا: الْمَسْجِدُ الأَقْصَى.

وَفِيهَا: مَبْعَثُ أَنْبِيَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَإِلَيْهَا هِجْرَةُ إِبْرَاهِيمَ، وَإِلَيْهَا مَسْرَى نَبِيِّنَا، وَمِنْهَا مِعْرَاجُهُ»[١].

ودعا لها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالبركة، فعن ابن عمر أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا، اللهُمَّ بَارِكْ فِي يَمَنِنَا، اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا، اللهُمَّ بَارِكْ فِي يَمَنِنَا، اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا، اللهُمَّ بَارِكْ فِي يَمَنِنَا**». فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّالِثَةِ أَوِ الرَّابِعَةِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَفِي عِرَاقِنَا؟

قَالَ: (إِنَّ بِهَا الزَّلازِلَ، وَالْفِتَنَ، وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ)[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والْبَرَكَةُ تَتَنَاوَلُ: الْبَرَكَةَ فِي الدِّينِ، وَالْبَرَكَةَ فِي الدُّنْيَا»[٣].

وقال ابن رجب الحنبلي: «اعلم أن البركة في الشام تشمل البركة في أمور الدين والدنيا، ولهذا سميت الأرض المقدسة»[٤].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ٥٠٦).

(٢) رواه البخاري (١٠٧٣)، والترمذي (٣٩٥٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢/ ٣٨٤) واللفظ له.

(٣) «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ٤٤).

(٤) «مجموع رسائل ابن رجب» (٣/ ٢٢٤).

قال العز بن عبد السلام: «لما بدأ بالدعاء للشام بالبركة، وثنَّى باليمن، دل على تفضيل الشام على اليمن، مع ما أثنى به على أهل اليمن في غير هذا الحديث، فإن البداية إنما تقع بالأهم فالأهم»[١].

ورُوي عن كعب قال: «إن الله - تعالى - بارك في الشام من الفرات إِلَى العريش»[٢].

وقد أقسم الله في كتابه بمواضع شريفة منها، دلالةً على عظمتها، فإنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ **لا يقسم إلا بعظيم، فقال:** ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ [التين:١-٣].

قال الحافظ ابن كثير: «قَالَ بَعْضُ الأَئِمَّةِ[٣]: هَذِهِ مَحَالٌّ ثَلاثَةٌ، بَعَثَ اللَّهُ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا نَبِيًّا مُرْسَلا مِنْ أُولِي الْعَزْمِ أَصْحَابِ الشَّرَائِعِ الْكِبَارِ.

فَالأَوَّلُ: مَحَلَّةُ التِّينِ وَالزَّيْتُونِ، وَهِيَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ الَّتِي بَعَثَ اللَّهُ فِيهَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ.

وَالثَّانِي: طُورُ سِينِينَ، وَهُوَ طُورُ سَيْنَاءَ الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ.

وَالثَّالِثُ: مَكَّةُ، وَهُوَ الْبَلَدُ الأَمِينُ الَّذِي مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا، وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ فِيهِ مُحَمَّدًا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ»[٤].

قال ابن رجب الحنبلي: «ولا ريب أن لفظ القرآن يدل صريحًا على التين والزيتون

---

(١) «ترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام» للعز بن عبد السلام ص٣٤.

(٢) «مجموع رسائل ابن رجب» (٣/ ٢٢٣)

(٣) يعني بذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، وينظر: «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (٥/ ٢٠٤)، (٥/ ٢٠٧).

(٤) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٤٣٤).

المأكولين، كما قاله ابن عباس ومجاهد وغيرهما.

ولكنه قد يدل على مكانهما من الأرض، بدليل أنهما قُرنا بمكانين شريفين، وهما الطور والبلد الأمين.

وهذه البقاع هي أشرف بقاع الأرض، ومنها ظهرت النبؤات العظيمة والشرائع المتبعة، فعامة أنبياء بني إسرائيل كانوا من الشام، وهي أرض التين والزيتون، ومنها ظهرت نبوة عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وطور سيناء كلم الله منه موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، والبلد الأمين منه ابتديء الوحي، وإنزاله عَلَى محمد صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذه النبوات الثلاث هي أعظم النبوات والشرائع.

فمن قال من المفسرين: إن التين والزيتون هما المأكولان فقوله صحيح باعتبار دلالة التين والزيتون عَلَى بقاعهما من الأرض، فإن أرض الشام هى أرض التين والزيتون غالبًا.

ومن قال: التين: دمشق، والزيتون: بيت المقدس وفلسطين، فقوله صحيح، باعتبار أن دمشق وما حولها هي بلاد التين غالبًا، وفلسطين وبيت المقدس بلاد الزيتون غالبًا.

ومن قال: المراد: جبل دمشق وجبل بيت المقدس، فالجبل من جملة أرض التين والزيتون.

ومن قال: المراد مسجد دمشق ومسجد بيت المقدس، فهذان المسجدان هما أشرف بقاع أرض الشام، والله أعلم»[1].

(١) «مجموع رسائل ابن رجب» (٣/ ٢٥٣).

٢- والشام ترعاها ملائكة الرحمن وتحفظها.

فعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نُؤَلِّفُ الْقُرْآنَ مِنْ الرِّقَاعِ[١].

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**طُوبَى لِلشَّامِ**». فَقُلْنَا: لأَيٍّ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قَالَ: «**لأَنَّ مَلائِكَةَ الرَّحْمَنِ بَاسِطَةٌ أَجْنِحَتَهَا عَلَيْهَا**»[٢].

وفي رواية: «**يا طُوبَى لِلشَّامِ، يا طُوبَى لِلشَّامِ، يا طُوبَى لِلشَّامِ**»... الحديث[٣]

طوبى: أي حالة طيبة لها ولأهلها.

قال ابن الأثير: «المراد بطوبى ها هنا: فُعْلى من الطِّيب»[٤].

وقَالَ الطِّيبِيُّ: «طُوبَى مَصْدَرٌ مِنْ طَابَ كَبُشْرَى وَزُلْفَى، وَمَعْنَى طُوبَى لَكَ: أَصَبْتَ خَيْرًا وَطَيِّبًا»[٥].

وقوله: «**بَاسِطَةٌ أَجْنِحَتَهَا عَلَيْهَا**»، أي: تحفها وتحوطها بإنزال البركات، ودفع المهالك والمؤذيات[٦].

---

(١) أي: يجمعون ما نزل من الآيات المفرقة في سورها، ينظر: «مرقاة المفاتيح» (١/ ٣١٧).

(٢) رواه أحمد (٢١٠٩٦) والترمذي (٣٩٥٤) وحسنه، وصححه: السيوطي والألباني.

(٣) «المعجم الكبير» للطبراني (٥/ ١٥٨)، وصححه الألباني

(٤) «النهاية» (٣/ ٣١٨).

(٥) «مرقاة المفاتيح» (٩/ ٤٠٣٩)

(٦) «فيض القدير» (٤/ ٢٧٤)

٣ - الشام صفوة الله من أرضه، وقد تكفَّل الله بها وبأهلها

ولهذا جاءت الوصيةُ بسكنى الشام والهجرة إليها.

فعَنْ ابْنِ حَوَالَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«سَيَصِيرُ الأَمْرُ إِلَى أَنْ تَكُونُوا جُنُودًا مُجَنَّدَةً، جُنْدٌ بِالشَّامِ، وَجُنْدٌ بِالْيَمَنِ، وَجُنْدٌ بِالْعِرَاقِ»**.

قَالَ ابْنُ حَوَالَةَ: خِرْ لِي[١] يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ.

فَقَالَ: **«عَلَيْكَ بِالشَّامِ، فَإِنَّهَا خِيرَةُ اللَّهِ مِنْ أَرْضِهِ[٢]، يَجْتَبِي إِلَيْهَا خِيرَتَهُ مِنْ عِبَادِهِ[٣]، فَأَمَّا إِنْ أَبَيْتُمْ فَعَلَيْكُمْ بِيَمَنِكُمْ، وَاسْقُوا مِنْ غُدُرِكُمْ[٤]، فَإِنَّ اللَّهَ تَوَكَّلَ لِي بِالشَّامِ وَأَهْلِهِ»[٥]**.

ورواه أحمد (٢٠٣٦٥) بلفظ: **«عَلَيْكَ بِالشَّامِ[٦]، عَلَيْكَ بِالشَّامِ، عَلَيْكَ بِالشَّامِ، فَمَنْ أَبَى فَلْيَلْحَقْ بِيَمَنِهِ، وَلْيَسْقِ مِنْ غُدُرِهِ، فَإِنَّ اللهَ قَدْ تَكَفَّلَ لِي بِالشَّامِ وَأَهْلِهِ»[٧]**.

---

(١) أي اختر لي، ودُلَّني على بلاد أسكنها عند وقوع الفتن وتقسيم بلاد المسلمين إلى أجناد أو دُوَيْلات.

(٢) أي هي مختارة الله من بلاده، اختارها سبحانه من جميع الأرض للإقامة في آخر الزمان.

(٣) أي يجمع إليها المختارين من عباده، والاجتباء: الاصطفاء.

(٤) قال الطيبي: «كأن قوله (فأما إن أبيتم) وارد على التأنيب والتغيير... فإن أبيتم أيتها العرب ما اختاره الله تعالى، واخترتم بلادكم ومسقط رأسكم من البوادي، فالزموا يمنكم واسقوا من غدرها؛ لأنه أوفق لكم من مياه البوادي.

فعلم من هذا أن الشام أولى بالاختيار، واليمن عند الاضطرار، والغدر: جمع غدير، وهو حفرة ينقع فيها الماء، والعرب أكثر الناس اتخاذًا لها، ولذلك أضيفت إليهم» «مرقاة المفاتيح» (٩/ ٤٠٤٢).

(٥) رواه أبو داود (٢٤٨٣) وصححه الألباني.

(٦) وقد نزل عبد الله بن حوالة الشام، وسكن بها، وتوفي بها، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ينظر: «الإصابة في تمييز الصحابة» (٤/ ٥٩).

(٧) المعنى أن الله ضمن لي حفظها وحفظ أهلها من بأس الكفرة واستيلائهم بحيث يتخطفهم ويدمرهم بالكلية، ينظر: «مرقاة المفاتيح» (٩/ ٤٠٤٢)

«فكَانَ أَبُو إِدْرِيسَ الْخَوْلانِيُّ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ قَالَ: مَنْ تَكَفَّلَ اللَّهُ بِهِ، فَلا ضَيْعَةَ عَلَيْهِ»[١].

قال العز بن عبد السلام: « فأخبر صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الشام في كفالة الله تعالى، وأن ساكنيه في كفالته: حفظه وحياطته، ومن حاطه الله تعالى وحفظه، فلا ضيعة عليه»[٢].

ونقل أبو داود عن الإمام أحمد أنَّه قيل له: هذه الأحاديث التي جاءت أن الله تكفل لي بالشام وأهله، ونحو هذا. قال: ما أكثر ما جاء في هذا. قيل له: فلعله في الثغور. قال: لا[٣].

وعن معاوية بن حيدة قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيْنَ تَأْمُرُنِي؟

قَالَ: **«هَا هُنَا، وَنَحَا بِيَدِهِ نَحْوَ الشَّامِ»**[٤].

وروى إبراهيم بن أدهم عن عطاء الخراساني قال: لما هممت بالنُّقلة من خراسان شاورت من بها من أهل العِلْم: أين ترون أن أنزل بعيالي؟

فكلهم يقول لي: عليك بالشام.

ثم أتيت البصرة فشاورت من بها: أين ترون أن أنزل بعيالي؟

فكلهم يقول لي: عليك بالشام.

---

(١) «الأحاديث المختارة» للضياء المقدسي (٩/ ٢٧٣)

(٢) «ترغيب أهل الإسلام» ص٤

(٣) «مجموع رسائل ابن رجب» (٣/ ١٨٥).

(٤) رواه الترمذي (٢١٩٢) وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ، وصححه الألباني.

ثم أتيت الكوفة فشاورت من بها من أهل العِلْم: أين ترون أن أنزل بعيالي؟

فكلهم يقول لي: عليك بالشام.

ثم أتيت مكة فشاورت من بها من أهل العِلْم: أين ترون لي أن أنزل بعيالي؟

فكلهم يقول لي: عليك بالشام.

ثم أتيت المدينة: فسألت من بها من أهل العِلْم: أين ترون لي أن أنزل بعيالي؟

فكلهم يقول لي: عليك بالشام.[١]

وقد نزل كثير من أنبياء الله ورسله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الشام، وإنَّ التاريخ الطويل لبلاد الشام مرتبط أشد الارتباط بسيرة أولي العزم من الرسل، وغيرهم من الأنبياء والمرسلين؛ كـ: إبراهيم، ولوط، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وموسى، وهارون، واليسع، وشعيب، ويوشع، وأيوب، ويونس، وإلياس، وداود، وسليمان، وعيسى، وزكريا، ويحيى، عليهم الصلاة والسلام.

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عامة أنبياء بني إسرائيل كانوا من الشام»[٢].

وقد دخل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلاد الشام قبل البعثة وهو صبي مع عمه في التجارة، ولم يخرج من الحجاز إلا إليها.

(١) «التاريخ الكبير» لابن أبي خيثمة (٢/ ١٠٧).

(٢) «مجموع رسائل ابن رجب» (٣/ ٢٥٣).

وبعد الهجرة توجه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى مشارفها لحرب الروم؛ فوصل إلى تبوك بأرض الأردن، فبدأ بها قبل غيرها من الأمصار، وأعطاها اهتمامًا دون غيرها من البلدان، وكذلك فعل الخلفاء الراشدون من بعده.

فالشام كما قال شيخ الإسلام: «فِيهَا مَبْعَثُ أَنْبِيَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَإِلَيْهَا هِجْرَةُ إِبْرَاهِيمَ، وَإِلَيْهَا مَسْرَى نَبِيِّنَا، وَمِنْهَا مِعْرَاجُهُ، وَبِهَا مُلْكُهُ وَعَمُودُ دِينِهِ وَكِتَابِهِ، وَطَائِفَةٌ مَنْصُورَةٌ مِنْ أُمَّتِهِ؛ وَإِلَيْهَا الْمَحْشَرُ وَالْمَعَادُ»[١].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ٥٠٧).

٤- وأهل الشام هم الصفوة المختارة

عَنْ قُرَّةَ بن إياس قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ، فَلا خَيْرَ فِيكُمْ**»[١].

وهذا يدل على أن فضائل الشام ليست للبلاد فقط، وإنما للبلاد وأهلها.

وقد بوب ابن حبان في صحيحه[٢] على هذا الحديث بقوله: «ذِكْرُ الإِخْبَارِ عَلَى أَنَّ الْفَسَادَ إِذَا عَمَّ فِي الشَّامِ، يَعُمُّ ذَلِكَ فِي سَائِرِ الْمُدُنِ».

ويدل عليه أيضًا قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث المتقدم: «**فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ تَكَفَّلَ لِي بِالشَّامِ وَأَهْلِهِ**».

وما يحصل في الشام اليوم أقوى دليل على أن أهل الشام لم يفسد حالهم؛ فهم مع ما هم فيه من البلاء والتقتيل لا يزالون صامدين ثابتين، لا يزيدهم هذا البلاء إلا إيمانًا وتسليمًا، وهم في ذلك ينتظرون نصر الله القريب.

وهذا وحده يكفي للدلالة على أصالة الإيمان في قلوبهم، وما هم عليه من صحة الانتساب لدين الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وليس الفساد أن تُبتَلى، ولكنَّ الفساد أن تُبتلى ثم لا تصبر، أما من ابتُلي فصبر، فقد سلك مسلك الأنبياء والصالحين.

---

(١) رواه الترمذي (٢١٩٢) وصححه، وصححه الألباني.

(٢) «صحيح ابن حبان» (١٦/ ٢٩٢).

٥- الشام مَنزل الإيمان، وبها عمود الكتاب

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إِنِّي رَأَيْتُ كَأَنَّ عَمُودَ الْكِتَابِ انْتُزِعَ مِنْ تَحْتِ وِسَادَتِي، فَأَتْبَعْتُهُ بَصَرِي، فَإِذَا هُوَ نُورٌ سَاطِعٌ عُمِدَ بِهِ إِلَى الشَّامِ، أَلا وَإِنَّ الإِيمَانَ إِذَا وَقَعَتِ الْفِتَنُ بِالشَّامِ**»[1].

وعن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**رَأَيْتُ عَمُودًا مِنْ نُورٍ خَرَجَ مِنْ تَحْتِ رَأْسِي سَاطِعًا حَتَّى اسْتَقَرَّ بِالشَّامِ**»[2].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُٱللَّهُ: «وَعَمُودُ الْكِتَابِ وَالإِسْلامِ: مَا يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ، وَهُمْ حَمَلَتُهُ الْقَائِمُونَ بِهِ»[3].

وقال العز بن عبد السلام رَحِمَهُٱللَّهُ: «أخبر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن عمود الإسلام الذي هو الإيمان يكون عند وقوع الفتن بالشام، بمعنى: أن الفتن إذا وقعت في الدين كان أهل الشام براء من ذلك ثابتين على الإيمان، وإن وقعت في غير الدين كان أهل الشام عاملين بموجب الإيمان، وأي مدح أتم من ذلك؟

والمعني بعمود الإسلام: ما يعتمد أهل الإسلام عليه، ويلتجئون إليه، والعيان شاهد لذلك، فإنا رأينا أهل الشام على الاستقامة التامة، والتمسك بالكتاب والسُّنَّة عند ظهور

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٨٥٥٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢٥٢)، وصححه الألباني.

(٢) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢٧٧٦)، والطبراني في «مسند الشاميين» (١٥٦٦)، وحسنه ابن كثير في «مسند الفاروق» (٢/ ٧٠١)، وصححه الألباني في «تخريج المشكاة» (٣/ ٣٦٩).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ٤٢).

الأهواء، واختلاف الآراء»[١].

قال شيخ الإسلام: «وَأَمَّا الشَّامُ فَلَمْ يَزَلْ فِيهَا الْعِلْمُ وَالإِيمَانُ، وَمَنْ يُقَاتِلُ عَلَيْهِ مَنْصُورًا مُؤَيَّدًا فِي كُلِّ وَقْتٍ»[٢].

(١) «ترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام» ص ٥.

(٢) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٤٤٩).

٦- استقرار الإسلام وثبوته بالشام

عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ، عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنَا عَنْ نَفْسِكَ.

قَالَ: «**دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وبُشْرَى عِيسَى، وَرَأَتْ أُمِّي حِينَ حَمَلَتْ بِي كَأَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ بُصْرَى مِنْ أَرْضِ الشَّامِ**»(١).

قال ابن كثير: «كَانَ مَنَامًا رَأَتْهُ حِينَ حَمَلَتْ بِهِ، وقَصته عَلَى قَوْمِهَا فَشَاعَ فِيهِمْ وَاشْتهرَ بَيْنَهُمْ، وَكَانَ ذَلِكَ تَوْطِئَةً.

وَتَخْصِيصُ الشَّامِ بِظُهُورِ نُورِهِ إِشَارَةٌ إِلَى اسْتِقْرَارِ دِينِهِ وَثُبُوتِهِ بِبِلاَدِ الشَّامِ، وَلِهَذَا تَكُونُ الشَّامُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ مَعْقِلا لِلإِسْلاَمِ وَأَهْلِهِ، وَبِهَا يَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ إِذَا نَزَلَ بِدِمَشْقَ»(٢).

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأمَّا إضاءة قصور بصرى بالنور الذي خرج معه، فهو إشارة إلى ما خص الشام من نور نبوته، بأنها دار ملكه، كما ذكر كعب أن في الكتب السابقة: محمد رسول الله، مولده بمكة، ومهاجره يثرب، وملكه بالشام، فمن مكة بُدئت نبوة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإلى الشام ينتهي ملكه، ولهذا أسري به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٦٥٦) وقال: « خالدُ بن مَعْدان من خيار التَّابعين، صحب معاذ بن جبل فمن بعده من الصَّحابة فإذا أَسند حديثًا إِلى الصَّحابة فإِنَّه صحيحُ الإِسناد ولم يخرجاه»، وقال ابن كثير: «وهذا إِسنادٌ جيِّد»، وصححه كذلك الشيخ الألباني في «الصحيحة» (١٥٤٥).

(٢) «تفسير ابن كثير» (١/ ٤٤٤).

إلى الشام إلى بيت المقدس، كما هاجر إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من قبله إلى الشام.

قال بعض السلف: ما بعث الله نبيًا إلا من الشام، فإن لم يبعثه منها هاجر إليها، وفي آخر الزمان يستقر العلم والإيمان بالشام فيكون نور النبوة فيها أظهر منه في سائر بلاد الإسلام»[١]

(١) «لطائف المعارف» ص٨٨.

٧ – الطائفة المنصورة التي تحمل الحق وتدافع عنه في أرض الشام

عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»**(١).

ورواه مسلم (١٥٦) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، بلفظ: **«لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»**.

ورواه البخاري (٣٦٤١) – واللفظ له – ومسلم (١٠٣٧) عن مُعَاوِيَةَ بْن أَبِي سُفْيَانَ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَقُولُ: «لا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلا مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ». فَقَالَ مَالِكُ بْنُ يُخَامِرَ قَالَ مُعَاذٌ: وَهُمْ بِالشَّامِ. فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: هَذَا مَالِكٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاذًا يَقُولُ: وَهُمْ بِالشَّامِ.

ورواه أبو داود (٢٤٣٤) وأحمد (١٩٤١٩) عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ حَتَّى يُقَاتِلَ آخِرُهُمْ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ»**.

ورواه الطبري في التهذيب (٩٣٣) وزاد: وكان مطرف يقول: هم أهل الشام.

وفي رواية له أيضًا قال: فكانوا يرون أنهم من أهل الشام.

ورواه أحمد (١٨٨٠٤) بسند صحيح عن أبي عبد الله الشامي قَالَ سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ يَخْطُبُ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الشَّامِ حَدَّثَنِي الأَنْصَارِيُّ – يَعْنِي زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ – أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ

---

(١) رواه الترمذي (٢١٩٢) وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» وغيره.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ**»، وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا هُمْ يَا أَهْلَ الشَّامِ.

وروى مسلم (١٩٢٥) عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يَزَالُ أَهْلُ الْغَرْبِ ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**».

قال شيخ الإسلام: «قَالَ أَحْمَد بْنُ حَنْبَلٍ: أَهْلُ الْمَغْرِبِ هُمْ أَهْلُ الشَّامِ، وَهُو كَمَا قَالَ لِوَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ فِي سَائِرِ الْحَدِيثِ بَيَانَ أَنَّهُمْ أَهْلُ الشَّامِ.

الثَّانِي: أَنَّ لُغَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَهْلَ مَدِينَتِهِ فِي «أَهْلِ الْمَغْرِبِ» هُمْ أَهْلُ الشَّامِ وَمَنْ يُغَرِّبُ عَنْهُمْ.

كَمَا أَنَّ لُغَتَهُمْ فِي أَهْلِ الْمَشْرِقِ هُمْ أَهْلُ نَجْدٍ وَالْعِرَاقِ، فَإِنَّ التَّغْرِيبَ وَالتَّشْرِيقَ مِنْ الأُمُورِ النِّسْبِيَّةِ فَكُلُّ بَلَدٍ لَهُ غَرْبٌ قَدْ يَكُونُ شَرْقًا لِغَيْرِهِ، وَلَهُ شَرْقٌ قَدْ يَكُونُ غَرْبًا لِغَيْرِهِ.

فَالاعْتِبَارُ فِي كَلامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا كَانَ غَرْبًا وَشَرْقًا لَهُ حَيْثُ تَكَلَّمَ بِهَذَا الْحَدِيثِ وَهِيَ الْمَدِينَةُ»[1].

وقال: «وَمَنْ يَتَدَبَّرُ أَحْوَالَ الْعَالَمِ فِي هَذَا الْوَقْتِ، يَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الطَّائِفَةَ[2] هِيَ أَقْوَمُ الطَّوَائِفِ بِدِينِ الإِسْلامِ: عِلْمًا وَعَمَلا وَجِهَادًا عَنْ شَرْقِ الأَرْضِ وَغَرْبِهَا؛ فَإِنَّهُمْ هُمْ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ أَهْلَ الشَّوْكَةِ الْعَظِيمَةِ مِنْ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ، وَمُغَازِيهِمْ مَعَ النَّصَارَى

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ٥٠٧)، وينظر: «مجموع الفتاوى» (٤/ ٤٤٦).

(٢) يقصد أهل الشام.

وَمَعَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ التُّرْكِ، وَمَعَ الزَّنَادِقَةِ الْمُنَافِقِينَ مِنْ الدَّاخِلِينَ فِي الرَّافِضَةِ وَغَيْرِهِمْ كالإسْماعيليَّة وَنَحْوِهِمْ مِنْ الْقَرَامِطَةِ مَعْرُوفَةٌ: مَعْلُومَةٌ قَدِيمًا وَحَدِيثًا.

وَالْعِزُّ الَّذِي لِلْمُسْلِمِينَ بِمَشَارِقِ الأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا هُوَ بِعِزِّهِمْ.

وَلِهَذَا لَمَّا هُزموا سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ دَخَلَ عَلَى أَهْلِ الإِسْلامِ مِنْ الذُّلِّ وَالْمُصِيبَةِ بِمَشَارِقِ الأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا مَا لا يَعْلَمُهُ إلا اللَّهُ»[1].

فاجْتَمَع لأَهْلِ الشّام بِتِلْكَ النّصُوصِ النّبَوِيّةِ الصّحِيحَةِ عِدّةُ أوْصَافٍ: أنّهُم أهْلُ جهَادٍ في سَبِيلِ الله، يُقَاتلُون عَلى الحَقّ، ظاهِرُون عَلى من نَاوَأهُم وعَادَاهُم، مَنْصُورون، لا يَضُرّهم مَن خَذَلهم ولا مَن خَالفَهُم، حَتى يَأتِيَ أمْرُ الله وهُم عَلى ذَلِك.

وهذا الحديث «**لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ...**» حديث متواتر، نص على ذلك: شيخ الإسلام ابن تيمية، والسيوطي، والكتاني، والألباني، وغيرهم.

وقوله فيه: «**لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم**» المقصود نفي الضرر عن دينهم، فإنهم مهما خالفهم المخالفون وخذلهم الخاذلون، فهم ثابتون على الإيمان واثقون بوعد الله.

أما حصول الأذى والضُّر في النفس أو المال أو الأهل فلا يدخل في ذلك؛ فإن ذلك حاصل لهم أصلا دون خذلان من أحد، وهو من مصائب الدنيا التي تصيب الناس عمومًا، وخاصة أهل الجهاد منهم.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٥٣٢).

ولذلك قال: «**لا يضرهم**»، ولم يقل: لا يؤذيهم؛ لأن الأذية قد تحصل، لكن لا تضر، وفرق بين الضرر والأذى، كما قال تعالى: «**لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلا أَذًى**»[١].

وأكثر الأحاديث الواردة في الطائفة المنصورة تنص على الجهاد، وكثير منها يحدد بلاد الشام، وفي ذلك إشارة إلى أن بقاء الإسلام وأهله مرتبط بالجهاد في سبيل الله وقتال أعداء الله، وهذا ماض إلى يوم القيامة، ولأهل الشام الحظ الأوفر والنصيب الأكمل من ذلك، وخاصة آخر الزمان.

ولا معارضة بين تفسير من فسر الطائفة المنصورة بالمجاهدين، وتفسير من فسرهم بأهل العلم؛ فإن هذين الصنفين لا يعلو الحق ولا ينقمع الباطل إلا بهما؛ فبالجهاد تعلو كلمة التوحيد وينقمع الشرك، وبالعلم يعلو منهج أهل السنة ويبطل منهج أهل البدعة.

ولا يزال في الأمة من هذين الصنفين من ينصر دين الله وينافح عن شرائعه، فالجهاد جهادان: بالعلم وبالسنان.

قال الحافظ ابن رجب: «وأما من قال من العُلَمَاء: إن هذه الطائفة المنصورة هم أهل الحديث، كما قاله ابن المبارك، ويزيد بن هارون، وأحمد بن حنبل، وعلي بن المديني، والبخاري وغيرهم، فإنَّه غير مناف لما ذكرناه؛ لأنّ الشام في آخر الزمان بها يستقر الإيمان وملك الإسلام، وهي عقر دار المؤمنين، فلابد أن يكون فيها من ميراث النبوة من العِلْم ما يحصل به سياسة الدين والدنيا، وأهل العِلْم بالسنة النبوية بالشام هم الطائفة المنصورة القائمون بالحق الذين لا يضرهم من خذلهم»[٢].

---

(١) ينظر: «مجموع فتاوى ابن عثيمين» (٨/ ٦٩١).

(٢) «مجموع رسائل ابن رجب» (٣/ ٢١١).

وقال شيخ الإسلام: «وَالنَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ مَيَّزَ أَهْلَ الشَّامِ بِالْقِيَامِ بِأَمْرِ اللَّهِ دَائِمًا إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ، وَبِأَنَّ الطَّائِفَةَ الْمَنْصُورَةَ فِيهِمْ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ.

فَهُوَ إِخْبَارٌ عَنْ أَمْرٍ دَائِمٍ مُسْتَمِرٍّ فِيهِمْ مَعَ الْكَثْرَةِ وَالْقُوَّةِ، وَهَذَا الْوَصْفُ لَيْسَ لِغَيْرِ الشَّامِ مِنْ أَرْضِ الإِسْلامِ؛ فَإِنَّ الْحِجَازَ الَّتِي هِيَ أَصْلُ الإِيمَانِ نَقَصَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ مِنْهَا الْعِلْمُ وَالإِيمَانُ وَالنَّصْرُ وَالْجِهَادُ، وَكَذَلِكَ الْيَمَنُ وَالْعِرَاقُ وَالْمَشْرِقُ.

وَأَمَّا الشَّامُ فَلَمْ يَزَلْ فِيهَا الْعِلْمُ وَالإِيمَانُ وَمَنْ يُقَاتِلُ عَلَيْهِ مَنْصُورًا مُؤَيَّدًا فِي كُلِّ وَقْتٍ»[١].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٤٤٩)

٨ – الشام هي أرض الرباط، ومعقل الجهاد على مر الزمان

لذا كان صالحو المؤمنين من هذه الأمة يحرصون على الرباط في الثغور الشامية.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « كَانَ صَالِحُو الْمُؤْمِنِينَ يُرَابِطُونَ فِي الثُّغُورِ: مِثْلُ مَا كَانَ الأوزاعي وَأَبُو إسْحَاقَ الفزاري ومَخلد بْنُ الْحُسَيْنِ وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ وَيُوسُفُ بْنُ أَسْبَاطَ وَغَيْرُهُمْ: يُرَابِطُونَ بِالثُّغُورِ الشَّامِيَّةِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَجِيءُ مِنْ خُرَاسَانَ وَالْعِرَاقِ وَغَيْرِهِمَا لِلرِّبَاطِ فِي الثُّغُورِ الشَّامِيَّةِ؛ لأَنَّ أَهْلَ الشَّامِ هُمْ الَّذِينَ كَانُوا يُقَاتِلُونَ النَّصَارَى أَهْلَ الْكِتَابِ.

وهَذِهِ السَّوَاحِلُ الشَّامِيَّةُ كَانَتْ ثُغُورًا لِلإِسْلامِ إلَى أَثْنَاءِ الْمِائَةِ الرَّابِعَةِ...

فَلَمَّا كَانَ فِي أَثْنَاءِ الْمِائَةِ الرَّابِعَةِ اضْطَرَبَ أَمْرُ الْخِلافَةِ وَصَارَ لِلرَّافِضَةِ وَالْمُنَافِقِينَ وَغَيْرِهِمْ دَوْلَةٌ وَمُلْكٌ بِالْبِلادِ الْمِصْرِيَّةِ وَالْمَغْرِبِ وَبِالْبِلادِ الشَّرْقِيَّةِ وَبِأَرْضِ الشَّامِ، وَغَلَبَ هَؤُلاءِ عَلَى مَا غَلَبُوا عَلَيْهِ مِنْ الشَّامِ: سَوَاحِلِهِ وَغَيْرِ سَوَاحِلِهِ، وَهُمْ أُمَّةٌ مَخْذُولَةٌ لَيْسَ لَهُمْ عَقْلٌ وَلا نَقْلٌ وَلا دِينٌ صَحِيحٌ وَلا دُنْيَا مَنْصُورَةٌ.

فَغَلَبَتْ النَّصَارَى عَلَى عَامَّةِ سَوَاحِلَ الشَّامِ؛ بَلْ وَأَكْثَرِ بِلادِ الشَّامِ وَقَهَرُوا الرَّوَافِضَ وَالْمُنَافِقِينَ وَغَيْرَهُمْ وَأَخَذُوا مِنْهُمْ مَا أَخَذُوا إلَى أَنْ يَسَّرَ اللَّهُ تَعَالَى بِوِلايَةِ مُلُوكِ السُّنَّةِ مِثْلُ «نُورِ الدِّينِ» «وَصَلاحِ الدِّينِ» وَغَيْرِهِمَا: فَاسْتَنْقَذُوا عَامَّةَ الشَّامِ مِنْ النَّصَارَى.

وَبَقِيَتْ بَقَايَا الرَّوَافِضِ وَالْمُنَافِقِينَ فِي جَبَلِ لُبْنَانَ وَغَيْرِهِ وَرُبَّمَا غَلَبَهُمْ النَّصَارَى عَلَيْهِ حَتَّى يَصِيرَ هَؤُلاءِ الرَّافِضَةُ وَالْمُنَافِقُونَ فَلاحِينَ لِلنَّصَارَى»[١].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ٥٢-٥٥).

وقد شهدت الشام في تاريخها الماضي معارك عديدة، رفعت فيها راية الإسلام، وكبت فيها العدو الشانئ؛ فقد شهدت: اليرموك، وعين جالوت، وحطّين، وكانت هذه المعارك معارك مفصَليّة في تاريخ الأُمة الإسلامية.

ففي معركة اليرموك انتهت الدولة البيزنطية، وفي حطين تحطمت جيوش الصليبين، وفتح بيت المقدس.

وفي عين جالوت انتهى غزو التتار لبلاد الإسلام، وتحوّل التتار من قوة شرسة كافرة إلى مسلمين يرفعون لواء الإسلام، ولواء السنّة.

٩ – والشام: حرام على منافقيها أن يظهروا على مؤمنيها

روى الإمام أحمد (١٥٦٣٥) عن خُرَيْم بْن فَاتِكٍ الأَسَدِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ –وهو صحابي شهد الحديبية– قال: «أَهْلُ الشَّامِ سَوْطُ اللَّهِ فِي الأَرْضِ، يَنْتَقِمُ بِهِمْ مِمَّنْ يَشَاءُ، كَيْفَ يَشَاءُ، وَحَرَامٌ عَلَى مُنَافِقِيهِمْ أَنْ يَظْهَرُوا عَلَى مُؤْمِنِيهِمْ، وَلَنْ يَمُوتُوا إِلا هَمًّا أَوْ غَيْظًا أَوْ حُزْنًا»[١].

قال شيخ الإسلام: «وَبِهَذَا اسْتَدْلَلْت لِقَوْمٍ مِنْ قُضَاةِ الْقُضَاةِ وَغَيْرِهِمْ فِي فِتَنٍ قَامَ فِيهَا عَلَيْنَا قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْفُجُورِ وَالْبِدَعِ الْمَوْصُوفِينَ بِخِصَالِ الْمُنَافِقِينَ لَمَّا خَوَّفُونَا مِنْهُمْ، فَأَخْبَرْتهمْ أَنَّ مُنَافِقِينَا لا يَغْلِبُوا مُؤْمِنِينَا.

وَقَدْ ظَهَرَ مِصْدَاقُ هَذِهِ النُّصُوصِ النَّبَوِيَّةِ عَلَى أَكْمَلِ الْوُجُوهِ فِي جِهَادِنَا لِلتَّتَارِ، وَأَظْهَرَ اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ صِدْقَ مَا وَعَدْنَاهُمْ بِهِ، وَبَرَكَةَ مَا أَمَرْنَاهُمْ بِهِ، وَكَانَ ذَلِكَ فَتْحًا عَظِيمًا مَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ مِثْلَهُ مُنْذُ خَرَجَتْ مَمْلَكَةُ التَّتَارِ الَّتِي أَذَلَّتْ أَهْلَ الإِسْلامِ؛ فَإِنَّهُمْ لَمْ يُهْزَمُوا وَيُغْلَبُوا كَمَا غُلِبُوا عَلَى بَابِ دِمَشْقَ فِي الْغَزْوَةِ الْكُبْرَى الَّتِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا فِيهَا مِنْ النِّعَمِ بِمَا لا نُحْصِيهِ خُصُوصًا وَعُمُومًا»[٢].

(١) صححه الألباني في «الضعيفة» (١/ ٦٩) موقوفا على خريم بن فاتك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ٥١٠)

١٠- والشام عقر دار المؤمنين

عنْ سَلَمَةَ بْنِ نُفَيْلٍ الْكِنْدِيِّ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَذَالَ النَّاسُ الْخَيْلَ[١]، وَوَضَعُوا السِّلاحَ، وَقَالُوا: لا جِهَادَ، قَدْ وَضَعَتْ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا[٢].

فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِوَجْهِهِ، وَقَالَ: «**كَذَبُوا، الآنَ الآنَ جَاءَ الْقِتَالُ**[٣]**، وَلا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ، وَيُزِيغُ اللَّهُ لَهُمْ قُلُوبَ أَقْوَامٍ، وَيَرْزُقُهُمْ مِنْهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**[٤]**، وَحَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ، وَالْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ...، وَعُقْرُ دَارِ الْمُؤْمِنِينَ: الشَّامُ**»[٥].

قال ابن الأثير: «أي أصله ومَوْضعه، كأنه أشار به إلى وقت الفتَن: أي يكون الشام يومئذ آمِنًا منها، وأهلُ الإسلام به أسلمُ»[٦].

والعُقر والعَقار: خيار كل شيء وأصله[٧]. **وعُقْرُ الدار**: أَصلُها، كما قال الأصمعي،

(١) أراد أنهم وضعوا أداة الحرب عنها وأرسلوها.

(٢) أي انقضى أمرها وخفت أثقالها فلم يبق قتال.

(٣) التكرار للتأكيد، أي: الآن اشتد القتال، فإنهم قبل ذلك كانوا في أرضهم، واليوم جاء وقت الخروج إلى الأراضي البعيدة.

(٤) أخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث بالردة التي تقع ممن أراد الله تعالى أن يزيغ قلبه عن الإسلام، ومقاتلة المسلمين لهؤلاء المرتدين وغنيمة أموالهم.

(٥) رواه النسائي (٣٥٦١) بإسناد على شرط مسلم كما قال الألباني.

(٦) «النهاية» (٣/ ٥٢٩).

(٧) «فيض القدير» (٤/ ٤٢١).

والعرب تقول: عُقْرُ الكلأ وعُقَارُ الكلأ، أَي: خيارُ ما يُرْعى من نبات الأَرض ويُعْتَمَد عليه، بمنزلة الدار، وهذا البيت عُقْرُ القصيدة، أَي: أَحسنُ أَبياتها[1].

(١) «لسان العرب» (٤/ ٥٩١).

١١- والشام حصن حصين أيام الملاحم والفتن

كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلَا وَإِنَّ الإِيمَانَ حِينَ تَقَعُ الْفِتَنُ بِالشَّامِ**»[١].

وروى أبو داود (٢٤٨٢) وأحمد (٦٨٣٢) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**سَتكُونُ هِجْرَةٌ بَعْدَ هِجْرَةٍ**[٢]**، فَخِيَارُ أَهْلِ الأَرْضِ أَلْزَمُهُمْ مُهَاجَرَ إِبْرَاهِيمَ، وَيَبْقَى فِي الأَرْضِ شِرَارُ أَهْلِهَا**[٣]**، تَلْفِظُهُمْ أَرْضُوهُمْ**[٤]**، وَتَحْشُرُهُمُ النَّارُ مَعَ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ**[٥]»[٦].

قال الخطابي: «معنى الهجرة الثانية الهجرة إلى الشام، يُرغِّبُ في المقام بها، وهي مهاجر إبراهيم صلوات الله عليه»[٧].

وقال شيخ الإسلام: «فَقَدْ أَخْبَرَ أَنَّ خَيْرَ أَهْلِ الأَرْضِ أَلْزَمُهُمْ مُهَاجَرَ إِبْرَاهِيمَ؛ بِخِلافِ مَنْ يَأْتِي إِلَيْهِ أَوْ يَذْهَبُ عَنْهُ، وَمُهَاجَرُ إِبْرَاهِيمَ هِيَ: الشَّامُ»[٨].

فخيار أهل الأرض يهاجرون في آخر الزمان إلى الشام، ولا يترك الهجرة إليها إلا شرار الناس.

---

(١) رواه أحمد (٢١٢٢٦) وصححه البيهقي، والحافظ في «الفتح»، والألباني.

(٢) أي: ستكون هجرة إلى الشام بعد هجرة كانت إلى المدينة.

(٣) من الكفَّار والفجَّار.

(٤) أي ترميهم أرضوهم، والمعنى: ترمي الأرض شرار الناس من ناحية إلى أخرى.

(٥) أي تجمعهم وتسوقهم النار فيفرون مخافة النار مع البهائم من القردة والخنازير، وليس هذا حشر يوم القيامة، ينظر: مرقاة المفاتيح (٩/ ٤٠٤٠).

(٦) صححه الألباني في «الصحيحة» (٣٢٠٣).

(٧) «معالم السنن» (٢/ ٢٣٦).

(٨) «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ٥٠٩).

١٢- الشَّامُ هي أرضُ المحشر والمنشر

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الشَّامُ: أَرْضُ الْمَحْشَرِ وَالْمَنْشَرِ**»[١].

وقد جاءت عدّة أحاديث تدلُّ على أن الناس تحشرهم النار التي تخرج من جهة اليمن أو حضرموت إلى المغرب، أي: بلاد الشام.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سَتَخْرُجُ نَارٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ أَوْ مِنْ نَحْوِ بَحْرِ حَضْرَمَوْتَ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، تَحْشُرُ النَّاسَ**».

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا تَأْمُرُنَا؟

قَالَ: «**عَلَيْكُمْ بِالشَّامِ**»[٢].

«فأشار صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالشام عند خروج النار؛ لعلمه بأنها خير للمؤمنين حينئذٍ من غيرها، والمستشار مؤتمن»[٣].

وروى أحمد (١٩٥٢٠) بسند جيد[٤] عَنْ مُعَاوِيَةَ بن حَيْدَة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**تُحْشَرُونَ هَاهُنَا - وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى نَحْوِ الشَّامِ - مُشَاةً، وَرُكْبَانًا، وَعَلَى وُجُوهِكُمْ**».

قال الحافظ ابن كثير: «فَهَذِهِ السِّيَاقَاتُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذَا الْحَشْرَ هُوَ حَشْرُ الْمَوْجُودِينَ

---

(١) «مسند البزار» (٩/ ٣٨٢)، وصححه الألباني.

(٢) رواه الترمذي (٢١٤٣) وصححه الألباني.

(٣) «ترغيب أهل الإسلام» ص٤

(٤) ينظر: «فتح الباري» لابن حجر (١١/ ٣٨٠).

فِي آخِرِ الدُّنْيَا مِنْ أَقْطَارِ الأَرْضِ إِلَى مَحَلَّةِ الْمَحْشَرِ، وَهِيَ أَرْضُ الشَّامِ، وَأَنَّهُمْ يَكُونُونَ عَلَى أَصْنَافٍ ثَلاثَةٍ: فَقِسْمٍ طَاعِمِينَ كَاسِينَ رَاكِبِينَ، وَقِسْمٍ يَمْشُونَ تَارَةً وَيَرْكَبُونَ أُخْرَى، وَهُمْ يَعْتَقِبُونَ عَلَى الْبَعِيرِ الْوَاحِدِ...، وَتَحْشُرُ بَقِيَّتَهُمُ النَّارُ، وَهِيَ الَّتِي تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدَنَ، فَتُحِيطُ بِالنَّاسِ مِنْ وَرَائِهِمْ، تَسُوقُهُمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ إِلَى أَرْضِ الْمَحْشَرِ، وَمَنْ تَخَلَّفَ مِنْهُمْ أَكَلَتْهُ.

وَهَذَا كُلُّهُ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذَا إِنَّمَا يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ آخِرِ الدُّنْيَا»[(١)].

فالشام هي أرض المحشر: يحشر الناس إليها قبل القيامة من أقطار الأرض.

فيهاجر إليها خيار أهل الأرض طوعًا ويجتمعون فيها، وأما شرار الناس فيحشرون كرهًا، تحشرهم النار من بلادهم إِلَى الشام[(٢)].

وعن عبد الله بن عمرو قال: «يأتي على الناس زمان لا يبقى فيه مؤمن إلا لحق بالشام»[(٣)].

وعَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَكُونُ لِلرَّجُلِ أَحْمِرَةٌ يَحْمِلُ عَلَيْهَا إِلَى الشَّامِ، أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا»[(٤)].

وهي أرض المنشر: فمنها يُجمع الناس إلى الحساب، فيُنشرون من قبورهم، ثم يساقون إليها.

---

(١) «البداية والنهاية» (١٩/ ٣٣٢).

(٢) ينظر: «لطائف المعارف» (ص: ٨٨-٨٩)،، «مجموع رسائل ابن رجب» (٣/ ٢٣٨)

(٣) رواه الحاكم (٨٤١٣) وصححه.

(٤) رواه ابن أبي شيبة (٣٨٤٢٧) بسند رجاله ثقات.

وخُصت بذلك؛ لأنها الأرض التي قال الله فيها: ﴿بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧١]، وأكثر الأنبياء بعثوا منها، فانتشرت في العالمين شرائعهم، فناسب كونها أرض المحشر والمنشر[(١)].

قال الحافظ ابن رجب: «جعل الله الشام منتهى الخلق والأمر، ففي آخر الزمان يستقر الإيمان وأهله بالشام، وهي أرض المحشر والنشر للأنام»[(٢)].

---

(١) «فيض القدير» (٤/ ١٧١)

(٢) «مجموع رسائل ابن رجب» (٣/ ١٧٩)

١٣- وفي الشام تكون الملاحم الكبرى آخر الزمان

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ فُسْطَاطَ الْمُسْلِمِينَ**[١] **يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ**[٢] **بِالْغُوطَةِ**[٣] **إِلَى جَانِبِ مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا: دِمَشْقُ، مِنْ خَيْرِ مَدَائِنِ الشَّامِ**»[٤].

ومعنى الحديث: أنّ حِصْن الْمُسْلِمِينَ الَّذِي يَتَحَصَّنُونَ بِهِ يَوْم الْمَقْتَلَة الْعُظْمَى فِي الْفِتَن بِغُوطَةِ دمشق.

«وَهَذَا الْحَدِيث يَدُلّ عَلَى فَضِيلَة دِمَشْق وَعَلَى فَضِيلَة سُكْناها فِي آخِر الزَّمَان، وَأَنَّهَا حِصْن مِنْ الْفِتَن.

وَمِنْ فَضَائِلهَا أَنَّهُ دَخَلَتْهَا عَشَرَة آلاف عَيْن رَأَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا أَفَادَهُ اِبْن عَسَاكِر، وَدَخَلَهَا النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْل النُّبُوَّة وَبَعْدهَا فِي غَزْوَة تَبُوك وَفِي لَيْلَة الإِسْرَاء»[٥].

وعن ابن مُحَيْرِيز قال: «خير فوارس تُظل السماء: فوارس من قيس، يخرجون من غوطة دمشق، يقاتلون الدجال»[٦].

---

(١) أي حصن المسلمين الذي يتحصنون به **وأصل الفسطاط**: الْخَيْمَة، والمراد: المكان الذي يجتمع فيه المسلمون، ويتميز صفهم من فسطاط النفاق والكفر.

(٢) وهي معركة كبيرة هائلة تقع بين المسلمين والصليبيين في آخر الزمان.

(٣) موضع بالشام كثير الماء والشجر، قال ابن الأثير: « الغوطة اسم البساتين والمياه التي حول دمشق، وهي غوطتها». «النهاية» (٣/ ٧٤٤).

(٤) رواه أبو داود (٤٢٩٨) وصححه الألباني.

(٥) «عون المعبود» (١١/ ٢٧٤).

(٦) «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١/ ٢٧٢).

وقال إبراهيم بن الجنيد: سمعت يحيى بن معين وقد ذكروا عنده أحاديث من ملاحم الروم، فقال يحيى: «ليس من حديث الشاميين شيء أصح من حديث: معقل المسلمين أيام الملاحم دمشق»[1].

وروى البخاري (٢٩٤٠) عن عَوْف بْن مَالِكٍ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ، فَقَالَ: **«اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ مُوْتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ[2]، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا[3]، ثُمَّ فِتْنَةٌ لا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلا دَخَلَتْهُ[4]، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الأَصْفَرِ، فَيَغْدِرُونَ، فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا»**.

وعند أحمد بسند جيد[5] (٢٣٤٦٥): (وَالسَّادِسَةُ: هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الأَصْفَرِ فَيَسِيرُونَ إِلَيْكُمْ عَلَى ثَمَانِينَ غَايَةً.

قُلْتُ: وَمَا الْغَايَةُ؟

قَالَ: الرَّايَةُ، تَحْتَ كُلِّ رَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا، فُسْطَاطُ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ فِي أَرْضٍ يُقَالُ لَهَا الْغُوطَةُ، فِي مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا دِمَشْقُ).

---

(١) «تاريخ دمشق» (١/ ٢٣١)

(٢) وهو داء يصيب الغنم، فيسيل من أنوفها شيء فتموت فجاءة، وكذلك غيرها من الدواب. ينظر: «عمدة القاري» (١٥/ ١٠٠).

(٣) وقد ظهر هذا في خلافة عثمان بعد الفتوح العظيمة. ينظر: فتح الباري (٦/ ٢٧٨).

(٤) والفتنة المشار إليها افتتحت بقتل عثمان واستمرت الفتن بعده. ينظر: «فتح الباري» (٦/ ٢٧٨).

(٥) كما ذكر ابن عبد الهادي في رسالته «فضائل الشام»، ينظر «مجموع رسائل ابن عبد الهادي» ص ٢٥٧.

فيوم الملحمة يوم عظيم، الشام يومئذ حصن المسلمين وملاذهم من الفتن، وجنودها من خير أجناد الأرض.

وروى مسلم (٢٨٩٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقٍ**[1]**، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنْ الْمَدِينَةِ**[2] **مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ.**

فَإِذَا تَصَافُّوا، قَالَتْ الرُّومُ: خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ.

فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لا وَاللَّهِ، لا نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا.

فَيُقَاتِلُونَهُمْ، فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لا يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا، وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ، وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ لا يُفْتَنُونَ أَبَدًا، فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ.

فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ إِذْ صَاحَ فِيهِمْ الشَّيْطَانُ: إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ ! فَيَخْرُجُونَ، وَذَلِكَ بَاطِلٌ.

فَإِذَا جَاءُوا الشَّأْمَ خَرَجَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ إِذْ أُقِيمَتْ الصَّلاةُ، فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **فَأَمَّهُمْ، فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللَّهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، فَلَوْ تَرَكَهُ لانْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بِيَدِهِ، فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ**».

---

(١) موضع بالشام قرب حلب.

(٢) المراد بها مدينة حلب، لأنها المدينة القريبة من مرج دابق، وقيل: المراد المدينة النبوية، وقال في مرقاة المفاتيح (٨/ ٣٤١٢): « قَالَ ابْنُ الْمَلَكِ، قِيلَ: الْمُرَادُ بِهَا حَلَبَ، وَالْأَعْمَاقُ وَدَابِقُ مَوْضِعَانِ بِقُرْبِهِ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِهَا دِمَشْقُ، وَقَالَ فِي الْأَزْهَارِ: وَأَمَّا مَا قِيلَ مِنْ أَنَّ الْمُرَادَ بِهَا مَدِينَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَضَعِيفٌ».

وقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إِذَا وَقَعَتِ الْمَلاَحِمُ خَرَجَ بَعْثٌ مِنْ دِمَشْقٍ مِنَ الْمَوَالِي هُمْ أَكْرَمُ الْعَرَبِ فَرَسًا، وَأَجْوَدُهُمْ سِلاحًا يُؤَيِّدُ اللهُ بِهِمُ الدِّينَ»[١].

(١) رواه الحاكم (٨٦٤٦) وصحَّحه على شرط البخاري، وقال الذهبي: على شرط مسلم، وحسَّنه الألباني في «الصحيحة» (٢٧٧٧).

١٤- وبالشام ينزل عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام في آخر الزمان

عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ في حديث الدجال الطويل، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «..**فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ**[١]**، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ**[٢]**، فَلا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ**[٣]**حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ...**»[٤].

وقد اختلف في المقصود بهذه المنارة، هل هي المنارة الشرقية للمسجد الأموي[٥]، أم هي المنارة الموجودة في شرقي دمشق، فيما يسمى اليوم بـ«باب شرقي». قال النووي: «وَهَذِهِ الْمَنَارَةُ مَوْجُودَةٌ الْيَوْمَ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ»[٦].

وقال ابن رجب الحنبلي: «وظاهر ما تقدم من الأحاديث والآثار يدل عَلَى أن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ينزل عند باب مدينة دمشق الشرقي.

وقد ذهبت طائفة إِلَى أَنَّه ينزل عند المنارة البيضاء شرقي مسجد دمشق الجامع، وهو مخالف للظاهر»[٧].

---

(١) معناه لابس مهرودتين، أي: ثوبين مصبوغين بورس ثم بزعفران.

(٢) الجمان هي حبات من الفضة تصنع على هيئة اللؤلؤ الكبار، والمراد يتحدر منه الماء على هيئة اللؤلؤ في صفائه، فسمي الماء جمانا لشبهه به في الصفاء.

(٣) أي للدجال.

(٤) رواه مسلم (٢٩٣٧)

(٥) ينظر: «البداية والنهاية» (٩/ ٣٠٤).

(٦) «شرح صحيح مسلم» (١٨/ ٦٧)

(٧) «مجموع رسائل ابن رجب» (٣/ ٢٧٦)

١٥- وهلاك الدجال يكون بالشام

فتنة المسيح الدجال أكبر فتنة تكون منذ خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى يوم القيامة؛ ومما منَّ الله به على الشام وأهله أن قتل الدجال يكون بأرض الشام.

وهو مما يدل على أن أرض الشام أرض الملاحم العظام والوقائع الجسام، والتي يكون فيها شأن الإسلام عاليًا ورايته مرفوعة، فإذا سقطت راية العزّ الخفاقة ببلاد الشام لم تُرفع بعدها أبدًا.

روى مسلم (١٣٨٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «**يَأْتِي الْمَسِيحُ**(١) **مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ هِمَّتُهُ الْمَدِينَةُ، حَتَّى يَنْزِلَ دُبُرَ أُحُدٍ، ثُمَّ تَصْرِفُ الْمَلائِكَةُ وَجْهَهُ قِبَلَ الشَّامِ، وَهُنَالِكَ يَهْلِكُ**».

(١) يعني الدجال.

١٦- والشام معقل المسلمين من يأجوج ومأجوج

في حديث النواس بن سمعان عند مسلم (٢٩٣٧) بعد ذكر مقتل الدجال قال: **«ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لا يَدَانِ لأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ[١]، وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ.. فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ[٢] فِي رِقَابِهِمْ فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى[٣] كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ»**.

فعند باب لُدّ - وهو موضع بالشام - يُقتل الدجال.

وعند جبل الطور - وهو بالشام - يكون الاحتراز من فتنة يأجوج ومأجوج.

ثم يأذن الله بالخير والبركة وغبطة العيش.

فالحاصل أنَّ: «الشام تبقى عامرةً فيها أهلُها بعد خراب المدينة، وبعد خروج الدَّجَّال، ونزول عيسى بن مريم، وخروج يأجوج ومأجوج، وبعد ظهور النَّار التي هي من أول أشراط الساعة، وبعد بعث الله الرِّيح الطَّيِّبة التي تقبض أرواح المؤمنين»[٤].

«فإذا كان الشام وأهله عند الله بهذه المنزلة، وكانوا في حراسته وكفالته، ودلَّت الأدلَّة

---

(١) أي ضمهم واجعله لهم حرزا.

(٢) وهو دود يكون في أنوف الإبل والغنم، الواحدة: نَغَفَة.

(٣) أي قتلى.

(٤) «مجموع رسائل ابن رجب» (٣/ ٢٣٥).

على أنَّ دمشق خير بلاد الشام - يعني: بعد بيت المقدس -؛ فلذلك أخبر السلفُ وشاهد الخَلَفُ: أنَّ مَن مَلَكَ دمشق، فبسط على أهلها الفضل ونشر فيهم العدل؛ فإنَّ النصر ينزل عليه من السماء، مع ما يحصل له من وُدٍّ في قلوب الأبرار والعلماء والأخيار، ومع ما يُلقيه الله تعالى من الرُّعب في قلوب الأعداء.

ومَن عاملَهم بخلاف ذلك؛ فأحلَّ بهم شيئًا من الضراء، وأنزل بهم نوعًا من البأساء، أو أخذهم بالجبروت والكبرياء؛ **فإنَّ الله - تعالى - لا يُمهله، ولا يهمله، بل يُعاجله باستلاب ملكه في حياته، أو بإلقائه في أنواع البلاء وأبواب الشقاء**؛ وذلك أنهم في كفالة ربِّ الأرض والسماء، كما أخبر به خاتم الأنبياء صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[(١)].

ولكن لابد أن نعلم أن قداسة البلاد وفضلها لا تنفع الإنسان إذا لم يصحب ذلك عمل صالح.

فالفضيلة الدائمة في كل وقت ومكان، إنما هي في الإيمان والعمل الصالح، فأي مكان وأي زمان كان أعونَ للعبد على هذا المقصود كان أفضل في حقه، وأتم لدرجته عند ربه.

فعن عبد اللهِ بنِ هُبَيْرَةَ قَالَ: كَتَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ إِلَى سَلْمَانَ: أَنْ هَلُمَّ إِلَى الأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ وَأَرْضِ الْجِهَادِ، وَكَانَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَلِي الْقَضَاءَ بِالشَّامِ.

فَكَتَبَ إِلَيْهِ سَلْمَانُ: «إن الأَرْضَ لا تُقَدِّسُ أَحَدًا، وَإِنَّمَا يُقَدِّسُ الْمَرْءَ عَمَلُهُ»[(٢)].

---

(١) «ترغيب أهل الإسلام» ص١٠، بتصرُّف.

(٢) رواه مالك في «الموطأ» (١٥٠٠)، والدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (٤/ ٦٩)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٥/ ١٠١٩).

العِلمُ والعُلَماءُ في بِلادِ الشَّامِ

ما زالت الشام منارةً للعلم والعلماء على مر التاريخ، جذَّابةً للعلماء، يرحلون إليها، ويقطنون بها، من عهد الصحابة - رضوان الله عليهم - إلى يومنا هذا.

قال ابن حبان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الشام موضع الأنبياء والمرسلين، ومركز الأولياء والصالحين»[١].

وقد نزلَ بها عددٌ كبيرٌ من صحابة رسول الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، فمنهم مَن كان في جيش الفتح، ومنهم مَن دخلها بعد ذلك.

حتى قال الوليد بن مسلم: « دَخَلَتِ الشامَ عشرةُ آلاف عَين رأت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[٢]!

وعنهم أخذَ العِلمَ جملةٌ وفيرةٌ من علماء التابعين وساداتهم.

فمَّمن نزلَها من الصحابة الكرام:

من القادة والأمراء: أبو عُبيدَة عامر بن الجرَّاح، وخالد بن الوليد، وشُرَحبيل بن حسنة، وعياض بن غَنْم الفِهري، وشُرَحبيل بن السِّمْط الكندي، وحبيب بن مسلمة الفهري، وسعيد بن عامر الجُمَحيّ، وفَضالة بن عُبَيد الأنصاري، ومعاوية بن أبي سفيان، مؤسِّس الدولة الأمويَّة بالشام.

---

(١) «مشاهير علماء الأمصار» (١/ ٨٤).

(٢) «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١/ ٣٢٧).

وهؤلاء كلُّهم من الأمراء القادة، الذين تتابعوا على ولاية الشام وأقطارها.

ومن عامة الصحابة: بلال بن رباح، وسعد بن عُبادة، وأبو مالك الأشعري، وأبو ذَرّ الغفاري، والفضل بن العبَّاس بن عبد المطلب، وعوف بن مالك الأشجعي، وثوبان مولى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأبو الدَّرداء، وشدَّاد بن أوس، وواثلة بن الأسقع، والعِرباض بن سارية، وأبو أُمامة الباهلي، وتميم الدَّاري، والمِقدام بن مَعْدِي كَرِب، وغيرهم كثير، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ جميعًا.

ومن علماء الشام على مر القرون:

۞ أبو مسلم الخولاني (ت ٦٢هـ): الفقيه العابد الزاهد، ريحانة الشام، وقارئُهُم، من سادات التابعين، كان يُقال عنه: حكيم هذه الأُمَّة.

۞ وعبد الرحمن بن غَنم الأشعري (ت ٧٨هـ): فقيه الشام وشيخ أهل فلسطين، بعثه عمر إلى الشام ليفقِّه أهلها؛ فتفقَّه عليه تابعو أهل الشام.

۞ وأبو إدريس الخولاني، (ت ٨٠هـ): عالم أهل الشام بعد أبي الدرداء، وقاضي دمشق أيام عبد الملك بن مروان، كان من أهل الفقه في الدِّين.

۞ وقبيصة بن ذؤيب (ت ٨٦هـ): الإمام الكبير الفقيه، قال الزهري: «كان قبيصة ابن ذؤيب من علماء هذه الأُمَّة»[(١)].

۞ وبلال بن أبي الدرداء الأنصاري (ت ٩٣هـ): قاضي دمشق، قال الإمام البخاري: «بلال أمير الشام»[(٢)].

---

(١) «السير» (٤/ ٢٨٢).

(٢) «السير» (٤/ ٢٨٥).

۞ وعمر بن عبد العزيز (ت ١٠١هـ): أمير المؤمنين، الإمام العادِل، والعالِم العامِل، المجتهِد العابِد الزاهد، بُويع له بالخلافة في مسجد دمشق؛ فنهضَت في عصره مدرسة الشام نهضة علميَّة كبيرةً.

۞ وبلال بن سعد السكوني (توفي بعد ١١٠هـ): الإمام الرباني الواعظ، شيخ أهل دمشق وقارئهم، كان لأهل الشام كالحسن البصري بالعراق، قال الأوزاعي: «لم أسمع واعظًا قط أبلغ من بلال بن سعد»[(١)].

۞ ورجاء بن حيوة (ت ١١٢هـ): من أجِلَّة التابعين الفقهاء، وشيخ أهل الشام وسيِّدهم، وكبير الدولة الأمويَّة. روى عن: معاوية بن أبي سفيان، وأبي أمامة صُدَيّ ابن عَجلان.

۞ ومكحول الشامي (ت ١١٣هـ): إمام أهل الشام وأفقههم في زمانه، لم يكن في زمنه أبصر بالفُتيا منه، وهو شيخ الأوزاعي. قال سعيد بن عبد العزيز: «كان أفقه أهل الشام، وكان أفقه من الزهري»، وقال عنه الزهري: «العلماء أربعة: سعيد بن المسيب بالمدينة. .. ومكحول بالشام»[(٢)].

۞ وعبد الله بن عامر اليَحْصَبي (ت ١١٨هـ): إمام أهل الشام في القراءة، وأحد القُرَّاء السبعة.

۞ وسليمان بن موسى الأشدق (ت ١١٩هـ): الإمام الكبير الفقيه، مُفتي دمشق،

---

(١) «السير» (٥/ ٩٠).

(٢) «تاريخ دمشق» (٦٠/ ١٩٧)، و«السير» (٥/ ١٥٥).

قال سعيد بن عبد العزيز: «كان أعلم أهل الشام بعد مكحول، ولو قيل لي: مَن أعلم الناس؟ لأخذتُ بيد سليمان»(١).

۞ والأوزاعي، عبد الرحمن بن عمرو (ت ١٥٧هـ): شيخ الإسلام، وإمام أهل الشام في الفقه والزُّهْد، قيل: إنه أجاب في سبعين ألف مسألة، وصار يُعمل بمذهبه في الشام نحو مائتي سنة.

۞ وسعيد بن عبد العزيز التنوخي الدِّمشقيّ (ت ١٦٧هـ): فقيه أهل دمشق ومُفتيهم بعد الأوزاعي، قال عنه الحاكم: «هو لأهل الشام كمالك لأهل الحجاز في التقدُّم والفقه»(٢).

۞ وأبو إسحاق الفزاري (ت ١٨٦ هـ)، الإمام الكبير، الحافظ، المجاهد، قال الشافعي: «لم يصنف أحد في السير مثل كتاب أبي إسحاق».وقال أبو حاتم: «اتفق العلماء على أن أبا إسحاق الفزاري إمام يقتدى به، بلا مدافعة»(٣).

۞ والوليد بن مسلم الدمشقي (ت ١٩٥هـ): الإمام الحافظ، عالم أهل دمشق في عصره، كان من أوعية العِلم وحفَّاظ الحديث، قال الإمام أحمد بن حنبل: «ما رأيتُ في الشاميِّين أعقل منه»(٤).

۞ وأبو سليمان الدَّاراني (ت ٢٠٥هـ): الإمام الزَّاهد الصالح.

---

(١) «السير» (٥/ ٤٣٣).

(٢) «تاريخ دمشق» (٢١/ ١٩٣)، و«تذكرة الحفَّاظ» (١/ ١٦١).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٥٣٩).

(٤) «تذكرة الحفَّاظ» (١/ ٢٢١)، و«السير» (٩/ ٢١١)

۞ وعبد الله بن ذكوان (ت ٢٤٢هـ): مقرئ دمشق وإمام الجامع، قال أبو زرعة الدمشقي: «لم يكن بالعراق ولا بالحجاز ولا بالشام ولا بمصر ولا بخُراسان في زمـان ابن ذكوان أقرأ عندي منه»[١].

۞ وهشام بن عمار (ت ٢٤٥هـ): شيخ أهل دمشق وخطيبهم ومقرئهم ومُحَدِّثهم ومُفتيهم، أحد شيوخ البخاري وأبي داود والنسائي وغيرهم.

۞ ودُحيم عبد الرحمن بن إبراهيم الدمشقي (ت ٢٤٥ هـ)، القاضي، الإمام، الفقيه، الحافظ، محدث الشام، وقاضي مدينة طبرية.

۞ وأبو زرعة الدمشقي (ت ٢٨٠هـ): الإمام الحافظ، محّدث الشام، صاحب كتاب التاريخ وعِلَل الرِّجال.

۞ وأبو مُسْهِر الغسَّاني، عبد الأعلى بن مُسْهِر (ت ٢١٨هـ): شيخ أهل الشام وعالِمهم بالحديث والمغازي والأنساب، قال يحيى بن معين: « منذ خرجتُ من بغداد إلى أن رجعتُ ما رأيتُ مثل أبي مسهر»[٢].

۞ ومحمد بن عوف الطائي الحمصي (ت ٢٧٢هـ): مُحَدِّث الشام، قال الإمام أحمد بن حنبل: «ما كان بالشام منذ أربعين سنة مثل محمد بن عوف»[٣].

---

(١) «معرفة القُرَّاء الكبار» (١/ ١٩٩)

(٢) «التذكرة» (١/ ٢٧٩)، و«السير» (١٠/ ٢٢٨).

(٣) «التذكرة» (٢/ ١٢١)، و«السير» (١٢/ ٦١٣).

- وأبو القاسم الطبراني (ت٣٦٠ هـ)، الإمام، الحافظ، الثقة، الرحال، الجوال، محدث الإسلام، وصاحب المعاجم الثلاثة.

- وعبد الله بن عطية الدمشقي (ت ٣٨٣هـ): المقرئ المفسِّر، قيل: كان يحفظ خمسين ألف بيت للاستشهاد على معانـي القرآن واللُّغـة.

- ونصر بن إبراهيم المقدسي النابلسي (ت ٤٩٠هـ): الإمام، شيخ الشافعيَّة بالشام في عصره.

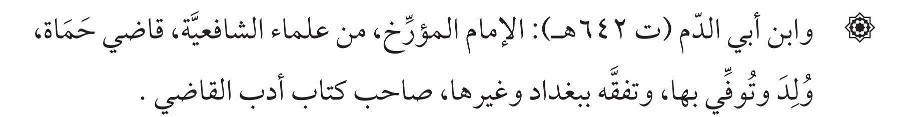
- وابن القيسراني، محمد بن طاهر المقدسي (ت ٥٠٧هـ): الإمام الحافظ، الرَّحَّالة المؤرِّخ، صاحب (أطـراف الغرائب والأفـراد)، و(أطـراف الكـتب السِّتَّة)، وغيرهـما.

- والحافظ أبو القاسم ابن عساكر (ت ٥٧١هـ): محدِّث الشام ومؤرِّخها، صاحب تاريخ دمشق.

- وعبد الغني المقدسي (ت ٦٠٠هـ): الإمام الحافظ، صاحب عمدة الأحكام، والكمال في أسماء الرجال .

- وابن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠هـ): الإمام الفقيه، المجتهِد، من أكابر علماء الحنابلة في عصره، صاحب كتاب المغني .

- وياقوت بن عبد الله الحَمَوي (ت ٦٢٦هـ): الإمام المؤرِّخ، اللُّغوي الأديب، صاحب (معجم البلدان)، و(مُعجمَ الأدباء).



۞ وابن أبي الدّم (ت ٦٤٢هـ): الإمام المؤرِّخ، من علماء الشافعيَّة، قاضي حَمَاة، وُلِدَ وتُوفِّي بها، وتفقَّه ببغداد وغيرها، صاحب كتاب أدب القاضي .

۞ وضياء الدِّين المقدسي (ت ٦٤٣): الإمام الحافظ المحدِّث، صاحب « الأحاديث المختارة »، بنى بدمشق مدرسة دار الحديث الضيائية المحمَّدية، ووقف بها كتبه.

۞ وابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري (ت ٦٤٣ هـ): الإمام، الفقيه، المحدِّث، وليَ التدريس في المدرسة الصلاحية ببيت المقدِس، ثم دار الحديث بدمشق.

۞ وأبو البركات مجد الدين ابن تيميَّة (ت ٦٥٢هـ): جدّ شيخ الإسلام، الإمام الفقيه المحدِّث المفسِّر، صاحب المنتقى من أحاديث الأحكام، والمحرَّر.

۞ وعَلَم الدين السخاوي الدمشقي (ت ٦٥٧هـ): كان شيخ القُرَّاء، وإمامًا في العربيَّة، بصيرًا باللُّغة، فقيهًا مُفتيًا، بارعًا في التفسير.

۞ وسلطان العلماء: العز بن عبد السلام، (ت ٦٦٠هـ): الإمام الفقيه، جمع بين فنون العلم من التفسير والفقه والأصول، وبلغ رتبة الاجتهاد، وصنف التصانيف المفيدة، منها القواعد الكبرى والصغرى.

۞ وابن العديم، عمر بن أبي جرادة الحلبي (ت ٦٦٠ هـ): المؤرِّخ المشهور، رئيس الشام، صاحب «بُغية الطلب في تاريخ حَلَب»، ومختَصَره «زبدة الحلب في تاريخ حلب».

۞ وأبو شامة المقدسي (ت٦٦٥هـ): المؤرِّخ المحدِّث، والفقيه المجتهد، صاحب كتاب: الروضتَين في أخبار الدولتَين: النورية والصلاحية، وكتاب: الباعث على إنكار البِدَع والحوادِث.

۞ والنووي يحيى بن شرف (ت ٦٧٦هـ): الإمام الفقيه، المجتهِد المشهور، والزاهد العابد، من مؤلفاته: المجموع، ورياض الصالحين، والأذكار.

۞ وابن خَلِّكان، أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ): المؤرِّخ، الفقيه، صاحب: وفيات الأعيان.

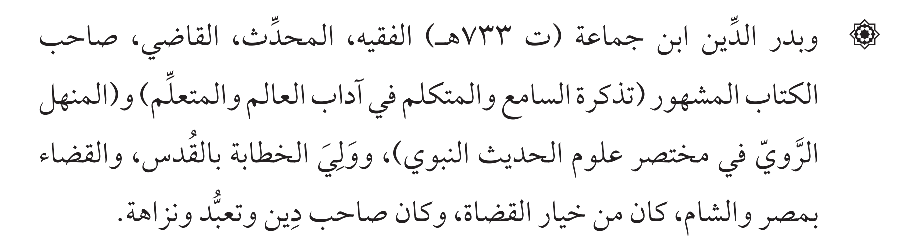
۞ وابن البخاري، فخر الدِّين علي بن أحمد بن عبد الواحد المقدسي (ت ٦٩٠هـ): محدِّث الإسلام ومسنِد الدُّنيا، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ينشرح صدري إذا أدخلتُ ابنَ البخاري بيني وبين النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث»[1].

۞ وشمس الدِّين البعلي (ت ٧٠٩هـ): الإمام، الفقيه الحنبلي، المحدِّث، اللُّغوي، صاحب (المُطلِع على أبواب المُقنِع) في تفسير غريب ألفاظ الفِقه الحنبلي، وُلِدَ ونشأ ببَعْلَبَكّ، ونزل دمشق، وتُوفِّي بالقاهرة.

۞ وشيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ): الإمام المشهور، المجتهِد، الفقيه، المفسِّر، القُدوة.

۞ وأبو الفِداء، إسماعيل بن علي (ت ٧٣٢هـ): المؤرِّخ الجغرافي المشهور، صاحب كتاب: المختصر في أخبار البشر، المعروف بـ تاريخ أبي الفِداء.

(١) انظر: «شذرات الذهب» لابن العماد (٥/ ٤١٤)، والأعلام (٤/ ٢٥٧).



- وبدر الدِّين ابن جماعة (ت ٧٣٣هـ) الفقيه، المحدِّث، القاضي، صاحب الكتاب المشهور (تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلِّم) و(المنهل الرَّويّ في مختصر علوم الحديث النبوي)، ووَلِيَ الخطابة بالقُدس، والقضاء بمصر والشام، كان من خيار القضاة، وكان صاحب دِين وتعبُّد ونزاهة.

- وعَلَم الدِّين البرزالي (ت ٧٣٩هـ): مؤرِّخ الشام، والحافظ المحدث المتقن.

- وأبو الحجَّاج المِزِّيّ (ت ٧٤٢هـ): الإمام الحافظ المحدِّث، صاحب: تهذيب الكمال .

- وابن عبد الهادي، محمد بن أحمد (ت ٧٤٤هـ): الإمام الحافظ المحدِّث، الحنبليّ، صاحب: المحرَّر، والعقود الدُّريَّة.

- وشمس الدِّين الذهبي (ت ٧٤٨هـ): الإمام الحافظ، صاحب: سير أعلام النُّبلاء، وتاريخ الإسلام.

- والسَّمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ): الإمام المفسِّر، اللُّغوي، الشافعي، من أهل حلب، استقرَّ واشتهر بالقاهرة، صاحب: الدُّرّ المصون من علوم الكتاب المكنون، في إعراب القرآن الكريم.

- وتقي الدين السُّبكي أبو الحسن علي بن عبد الكافي (ت ٧٥٦ هـ)، الفقيه الشافعي، والأصولي، اللغوي، المقرىء.

- وابن مفلح، محمد بن مفلح (ت ٧٦٣هـ): الإمام الفقيه، صاحب: الفروع، والآداب الشرعيَّة.

۞ وابن قيِّم الجوزيَّة، محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ): الإمام الحافظ الفقيه المجتهِد، صاحب (زاد المعاد) و(إعلام الموقِّعين) و(مدارج السالكين)، وغيرها من المؤلَّفات النافعة.

۞ والحافظ العلائي أبو سعيد صلاحُ الدِّين خليلُ بنُ كَيكَلْدي الشَّافعي (ت٧٦١هـ): كان إمامًا في الفقه والأصول، متفننًا في علم الحديث ومعرفة الرجال، ومن تصانيفه: المجموع المُذْهب في قواعد المَذْهب، وتلقيحُ الفُهومِ في صيَغِ العموم.

۞ وصلاح الدِّين الصفدي، خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ): الأديب المؤرِّخ، صاحب (الوافي بالوَفَيَات).

۞ والحافظ ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ): الإمام المفسِّر المؤرِّخ الفقيه، صاحب (التفسير) و(البداية والنِّهاية).

۞ ومحمد بن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤هـ): المؤرِّخ، صاحب (فوات الوَفَيَات).

۞ وابن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥هـ): الإمام الفقيه المحدِّث، صاحب (جامع العلوم والحِكَم) و(شرح عِلَل الترمذي)، وغيرها من المؤلَّفات النافعة.

۞ وابن الجَزَريّ (ت ٨٣٣هـ): شيخ المُقرئين في زمانه، صاحب (النشر في القِراءات العشر)، و (المقدِّمة الجزريَّة)، كان له بدمشق مدرسة سمَّاها (دار القرآن).

۞ وابن اللَّحَّام البعلي (ت ٨٠٣هـ): الإمام الفقيه الحنبلي المشهور، صاحب (الأخبار العلمية في اختيارات الشيخ تقي الدين ابن تيميَّة)، و(المختصر في أصول الفقه)، و (القواعد) في الفقه الحنبلي، وُلِدَ ببَعْلَبَكّ.

۞ وسِبط ابن العجمي، البرهان الحلبي (ت ٨٤١هـ): الإمام المحدِّث المشهور، من كبار فقهاء الشافعيَّة، شيخ حلب ومحدِّثها، صاحب (الاغتباط بمَن رُمِيَ من الرُّواة بالاختلاط).

۞ وبرهان الدين البِقاعي (ت ٨٨٥ هـ): صاحب تفسير: «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور»، وهو من البقاع في لبنان.

۞ وأبو الحسن المرداوي الدمشقي الصَّالِحِي الحنبلي (ت ٨٨٥ هـ)، تصدى للإقراء بِدِمَشْق ومصر وللإفتاء، وانتهت إليه رئاسة المذهب، ومن كتبه: الإنصاف في معرفَة الرَّاجِح من الْخلاف، وهو عالم متقن مُحَقّق لكثير من الْفُنُون، منصف منقاد إلى الْحق، متعفف ورع.

۞ ونجم الدِّين الغزِّي الدِّمشقي (ت ١٠٦١هـ): المؤرِّخ، المُحَدِّث، الفقيه، صاحب (الكواكب السائرة في تراجم أعيان المائة العاشرة).

۞ وابن العِماد (ت ١٠٨٧هـ): الفقيه، المؤرِّخ، صاحب (شذرات الذهب في أخبار مَن ذهب).

۞ وعبد القادر التغلبي (ت ١١٣٥هـ): الفقيه الحنبلي، صاحب كتاب: نيل

المآرب شرح دليل الطالب.

- ومصطفى الرحيباني (ت ١٢٤٣هـ): الفقيه الحنبلي، صاحب: «مطالب أولي النُّهى في شرح غاية المُنتهى».

- وابن عابدين الحنفي (ت ١٢٥٢ هـ) فقية الديارالشامية ،وإمام الحنفية فى عصره، مولده ووفاته فى دمشق، وله الحاشية المشهورة: «رد المحتار على الدر المختار».

- وحامد العطَّار (ت ١٢٦٣هـ): المحدِّث المفسِّر.

- وطاهر الجزائري ثم الدِّمشقي (ت ١٢٦٨هـ): الفقيه المُفتي المحدِّث.

- وعبد السلام الشطي (ت ١٢٩٥هـ)، إمام الحنابلة في الجامع الأموي.

- **وبرزَ في القرن الرابع عشر علماءُ كثيرون مشهورون؛ منهم:**

- المحدِّث الفقيه: سليم العطَّار (ت ١٣٠٧هـ) .

- وعلامة الشام: جمال الدِّين القاسمي (ت ١٣٣٢هـ).

- والفقيه الحنبلي: عبد القادر بن بدران الدومي (ت ١٣٤٦هـ).

- والمحدث الأكبر: بدر الدِّين الحسني (ت ١٣٥٤هـ).

- ومحمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ) صاحب مجلة المنار.

- والأديب الشاعر: مصطفى الغلاييني (ت ١٣٦٤هـ).

- ومؤرِّخ حلب: محمد راغب الطَّبَّاخ (ت ١٣٧٠هـ).
- ومحمد كُرد علي (ت ١٣٧٢هـ) مؤسِّس المجمع العلمي العربي بدمشق.
- ومحب الدِّين الخطيب (ت ١٣٨٩هـ) صاحب المكتبة السلفيَّة بالقاهرة.
- وخير الدين الزركلي (ت ١٣٩٦هـ) صاحب كتاب الأعلام.
- والفقيه الأصولي: أحمد الزرقا (ت ١٣٥٧هـ).
- ومحمد علي الدقر (ت ١٣٦٢هـ).
- ومصطفى السباعي (ت ١٣٨٤هـ).
- ومحمد محمود الحامد (ت ١٣٨٩هـ).
- والمصلح الأديب: محمد بهجة البيطار (ت ١٣٩٦هـ).
- والشيخ العلامة: محمد أمين المصري (ت ١٣٩٧).
- والمربي الجليل: حسن حبنكة الميداني (ت ١٣٩٨هـ).
- والأديب الأريب: علي الطنطاوي (ت١٤٢٠هـ).
- ومصطفى بن أحمد الزرقا (ت ١٤٢٠هـ).
- ومحدث الشام: محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ).
- وعبد الغني الدقر (ت ١٤٢٣هـ).

- والشيخ عبد القادر الأرناؤوط (ت ١٤٢٥هـ).
- ومصطفى سعيد الخن (ت ١٤٢٩هـ).
- ومحمد سليمان الأشقر (ت١٤٣٠هـ).
- وعبد الرحمن الباني (ت ١٤٣٢هـ).
- وعمر سليمان الأشقر (١٤٣٣ هـ).

وغيرهم كثير، فالشام بلد العِلم والعلماء في كلِّ عصر وقرن؛ فلم يخلُ قرنٌ من القرون ولا عصرٌ من العصور منذ الفتح الإسلامي لدمشق من علماء عامِلين، وأئمَّة مُصلحين كبار، تألَّقت نجومُهم وازدهرَت علومهم، ولا يزال المسلِمون ينهلون من علومهم حتى الساعة.

فاللهمَّ أعِد للشام مجدَها، وفُكَّ أسرها، وقوِّ شوكةَ أهلها، واجعلها منارةً للعِلم والعلماء كما كانت. . آمين.

ٱلْجِهَادُ وَٱلرِّبَاطُ فِي بِلَادِ ٱلشَّامِ

أهل الشام هم أهل القيادة والريادة، وأهل الجهاد والرباط، وصدِّ هجمات أعداء الإسلام، منذ الفتح الإسلامي وحتى قيام الساعة.

فكانت الشام عاصمة الأمويين، وكانت دولتهم خير دولة وأعزها في الإسلام بعد الخلافة الراشدة، وأكثرها فتوحًا.

ورغم أن عمر دولتهم لم يبلغ قرنًا من الزمن، فإن أكبر فتوح الإسلام انطلقت منها؛ إذ امتدت فتوحها من الصين شرقًا إلى الأندلس وفرنسا غربًا، ومن بحر قزوين في الشمال إلى المحيط الهندي في الجنوب، وكادت أن تفتح أوربا بأكملها.

وكان للدولة الزنكية والأيوبية في الشام جهود عظيمة في جهاد الصليبيين؛ إذ قام السلطان نور الدين محمود بن زنكي بتخليص الشام وأهلها من الصليبيِّين، كما قام صلاح الدين الأيوبي بتحرير القدس والمسجد الأقصى.

وعلى أرض الشام وقعت المعارك العظام، مثل اليرموك، وحطين، وعين جالوت، وشقحب،وميسلون.

فلم تزل أرض الشام على مر الزمان أرض الجهاد والرباط، وهي أرض الحسم بين المسلمين واليهود في آخر الزمان، وبينهم وبين الروم في الملحمة الكبرى، وبينهم وبين الدجال.

طمع الدول والحضارات في بلاد الشام:

لقد غزا الشام غُزاةٌ كُثيرون مُتنَوِّعون في عصور مختلفة، لكن المُجاهدين من أبنائها، ومن محبِّيها قهروا الغزاة، وردُّوهم بعون الله خائبين.

وقد بدأت المُواجهة الحربية بين المسلمين والروم في حياة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غزوة تبوك، حتى فتحها المسلمون في عهد الخليفتين الراشدين أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في معارك حاسمة أهمُّها: معركة اليرموك بقيادة خالد بن الوليد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ثم فتح دمشق بقيادة أبي عبيدة بن الجراح رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وبعد معارك دامية اندحر الروم من الشام، ورحَل هرقل من حمص مُوَدِّعًا سورية وداعه الأخير، وهو يقول: «عليك السلام يا سورية، سلامًا لا اجتماع بعده»[1].

ولم ييأس الروم من استعادة الشام، فقاموا بغزوها مرارًا، وأرسلوا الحملات الصليبية تترى، الحملة تلو الأخرى، وارتكبوا خلالها كثيرًا من المجازر، وأهلكوا الزرع والضرع وأحرقوا الأخضر واليابس، وعاثوا في الأرض الفساد، وقتّلوا ومثّلوا وانتهكوا الحرمات، وقُتل في بيت المقدس أكثر من سبعين ألفًا، وفي معرة النعمان نحو هذا العدد أيضًا.

واستمر جهاد المسلمين ضد الصليبيين دون توقف على مدى عقود من الزمن، وكانت معركة حطين بداية النهاية للحملات الصليبية على بلاد الشام.

وفي سنة (٦٥٨) هـ، قصد التتارُ بلادَ الشام، ووصلوا إلى حلب، فحاصروها، ثم

---

(١) ينظر: «تاريخ الطبري» (٣/ ٦٠٣).

افتتحوها بالأمان، وغدروا بأهلها، وقتلوا منهم خلقا لا يعلمهم إلا الله عَزَّوَجَلَّ، واستباح (تيمورلنك) مدينة حلب وبنى من رؤوس القتلى تلالا، وهدم ما فيها من مساجد ومدارس، ونهب جنده الأموال، وجاسوا خلال الديار، وسبوا النساء والأطفال، وجرى على أهل حلب قريب مما جرى على أهل بغداد من الهوان.

وكلك فعلوا مع أهل دمشق وحماة.

ولما بلغ السلطانَ المُظَفَّر قُطُز صاحب مصر ما فعل التتار بالشام، وأنهم قد نهبوا البلاد كلها حتى وصلوا إلى غزة، وعزموا على دخول مصر، بادرهم قبل أن يبادروه، فخرج إليهم في عساكر مصر والشام، بعد أن اجتمعت الكلمة عليه، فقاتل بهم التتارَ في معركة «عين جالوت»، في يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان، فاقتتلوا قتالاً عظيمًا.

وهزمهم المسلمون هزيمة هائلة، وقُتل أمير المغول وجماعة من بيته، واتبعهم الجيش الإسلامي يقتلونهم في كل موضع، وطهروا البلاد من شرهم، فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين.

ولما كَسر الملك المظفر قطز عساكر التتار بعين جالوت ساق وراءهم، ودخل دمشق في أبهة عظيمة، وفرح به الناس فرحًا شديدًا، ودعوا له دعاء كثيرًا، واسترد حَلَبًا من يد (هولاكو)، وعاد الحق إلى نصابه.

ثم عاود التتار الكرة لغزو الشام، فكانت معركة «شقحب» في الثاني من رمضان سنة (٧٠٢) هـ.

وكانت معركة حاسمة بين جيوش المسلمين من مصر والشام، ومعهم السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وبين جيوش التتار ومن حالفهم من النصارى، فالتحم الصفان، واحتدم القتال إلى أن جعل الله الدَّبَرة على أعدائه، ومنح المسلمين أكتافهم، فريقًا يقتلون ويأسرون فريقًا.

وكان لشيخ الإسلام ابن تيمية ولغيره من العلماء دورٌ عظيمٌ في هذه المعركة، فقد كان يُثَبِّتُ عزائم الجند ويقوي قلوب المجاهدين، بل شارك بنفسه في القتال، وطاف في الجيش يقوي قلوبهم، ويُشَجِّعُهم، ويُقْسِم للأمراء والناس أنهم في هذه الكرَّة منصورون، فيقول له الأمراء: قل: إن شاء الله. فيقول: إن شاء الله تحقيقًا لا تعليقًا.

وأفتى الناسَ بالفطر مُدَّة قتالهم، وأفطر هو أيضًا، وكان يدور على الأجناد والأمراء، فيأكل من شيء معه في يده؛ ليُعْلِمَهم أن إفطارهم؛ ليتقَوَّوْا به على القتال أفضلُ من صيامهم[1].

وكذلك حاول الباطنية من العبيديين والقرامطة السيطرة على بلاد الشام مرارًا، وتم لهم ذلك في بعض الأوقات، لكنهم لم يتمكنوا من حكمها، ولم ينعموا فيها بالاستقرار؛ لاستمرار حركة الجهاد ضدهم.

وفي العصر الحديث: أعاد الفرنسيون سيرة أجدادهم باحتلال بلاد الشام، وتصدى لهم أهل الشام بكل بسالة، حتى حرروا البلاد منهم في النهاية.

وساعد النصيريون على مر التاريخ: الصليبيين، والتتار، والفرنسيين في غزو بلاد

---

(١) «البداية والنهاية» (١٤/ ٢٣).

الشام، بل قاموا بتقديم عريضة للحكومة الفرنسية متضمنة العداء للعرب والمسلمين، والتعاطف مع اليهود في فلسطين، والطلب بإيجاد دولة علوية في سوريا.

وعن طريق المكر والخداع، والتعاون مع أعداء الإسلام استطاع النصيرية مؤخرًا الوصول إلى سُدَّة الحكم في سوريا.

وها هي راية الجهاد تُرفع مرة أخرى بعد فترة من تسلُّط النصيريِّين، واستعلائهم على البلاد؛ ليسترد المسلمون حقهم، ويتبوءوا مكانتهم.

وها هي ملاحم البطولة تعود اليوم من جديد، لتعيد للشام مكانتها، بعد تطهيرها من هؤلاء الباطنية القرامطة الخبثاء.

سُورِيَا عَرُوسُ الشَّامِ

يَا سُورِيَا، يَا فَخْرَ أَهْلِ الشَّامِ
يَا عُقْرَ دَارِ كَتَائِبِ الإِسْلَامِ

كَمْ مِنْ نَبِيٍّ فِي رُبُوعِكِ قَدْ دَعَا
لِلَّهِ، لَا لِعِبَادَةِ الأَصْنَامِ

أَرْضٌ مُبَارَكَةٌ، وَشَعْبٌ طَيِّبٌ
يَأْبَى الْخُضُوعَ لِغَاشِمٍ ظَلَّامِ

وَرِثَ الْبَسَالَةَ وَالشَّجَاعَةَ وَالْفِدَا
مِنْ كُلِّ قَرْمٍ فَارِسٍ مِقْدَامِ

بُورِكْتِ نَبْعَ الْعِلْمِ نَبْعًا صَافِيًا
يَرْوِي عِطَاشَ السَّادَةِ الأَعْلَامِ

بُورِكْتِ مَهْداً لِلْحَضَارَةِ جِذْرُهُ
مُتَأَصِّلٌ فِي سَالِفِ الأَيَّامِ

بُورِكْتِ حِضْناً حَانِيًا مُتَلَطِّفًا
يَغْذُو الصِّغَارَ؛ لِحَمْلِ كُلِّ حُسَامِ

بُورِكْتِ يَا قَبْرَ الْغُزَاةِ، وَتَعْسِهِمْ
فِي لَيْلِ بَأْسٍ، أَوْ نَهَارٍ دَامِ

كَمْ ذَا غَزَاكِ الْمُعْتَدُونَ وَظَنُّهُمْ وَحَاوَلُوا
أَنْ يَنْعَمُوا عَيْنًا بِنَيْلِ مَرَامِ

لَكِنَّهُمْ خَابُوا، وَضُلِّلَ سَعْيُهُمْ
لَكِ يَا عَرُوسَ الشَّامِ أَلْفُ سَلَامِ

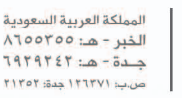
فِهْرِسُ الْمُحْتَوَيَاتِ

طوبى للشام

بلاد الشام هي ديار النَّبيِّين ،
ومركز الصالحين ، ومطلب الفضلاء ،
بها القبلة الأولى ، وموضع الحشر
والمسرَى ، والرباطات الفاضلة ،
والثُّغور الجليلة ، ومهاجر إبراهيم ،
ومشاهد الأنبياء ... وفضائل لا تخفى.

ومن تأمل النصوص الشرعية الثابتة
والأخبار الصادقة تعرَّف على موعود الله
الذي لا يخلف وعده ،
وأيقن أن النصر قادم ،
وأن مع العسر يسرا ، وأن الله معزٌّ جندَه ،
ومذلٌّ عدوَّه ، ومتمُّ نورَه ، لا محالة .





رقم الإيداع : ١٤٣٤/٨٢٥
ردمك : ٩٧٨-٦٠٣-٨٠٤٧-٢٨-٥